الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف–المسيلة–

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم: .....

التاريخ السياسي والاجتماعي عند محمد الطالبي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

من إعداد: ريم خضار

إشراف الأستاذ الدكتور: أ. د. الطاهر بونابي

لجنة المناقشة			
اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ. لخضر بولطيف	أستاذ مساعد. أ	جامعة المسيلة	رئيسا
أ. د. الطاهر بونابي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
أ. بن مجدوب جمال	أستاذ مساعد. أ	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2019/2018

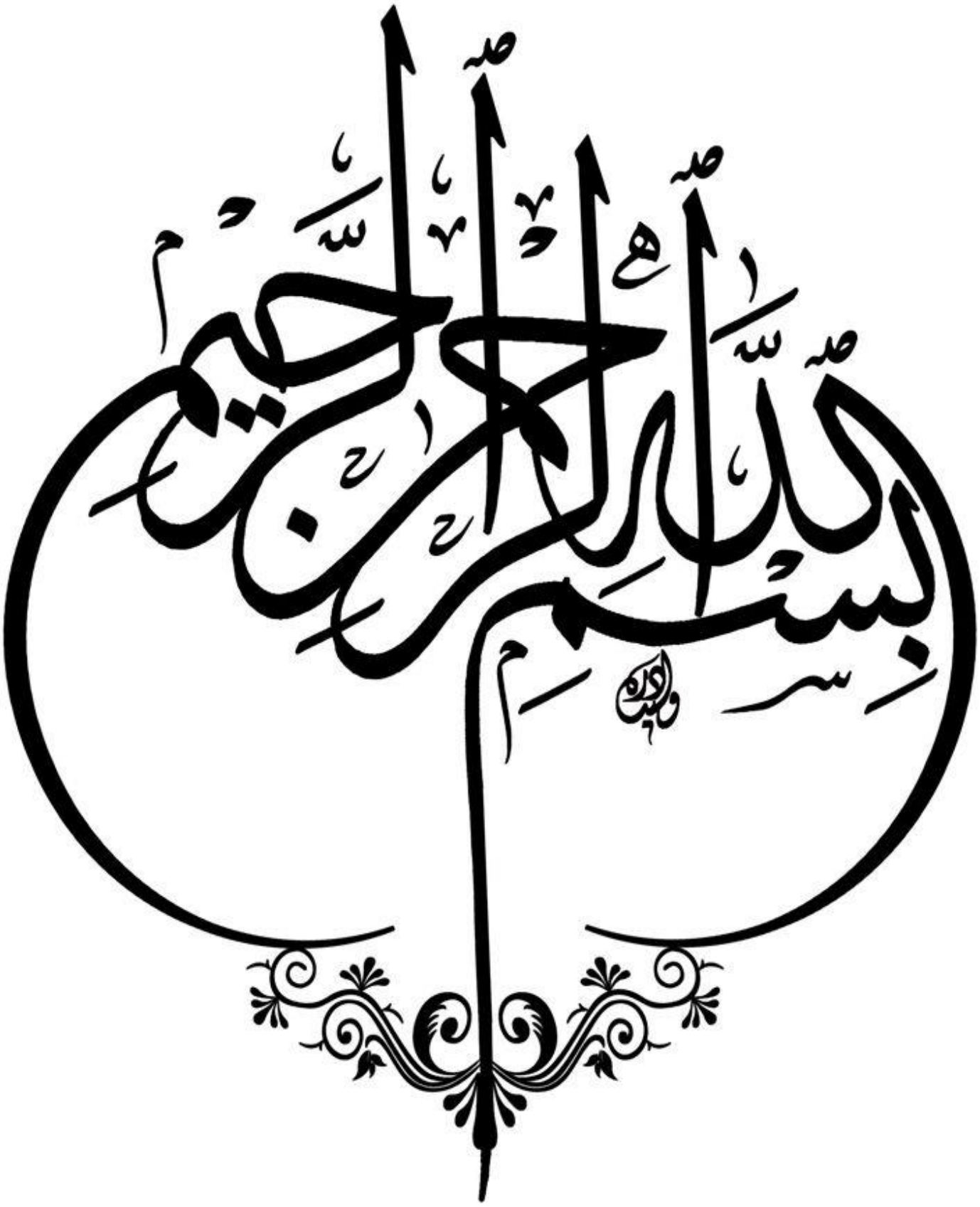
بسم الله الرحمن الرحيم

شُكر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الله على صاحب الشفاعة الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد:

للنجاحات أناس يقدرون معناها وللإبداع أناس يحصدونه، تتناثر الكلمات جبرا وحبا لكل من علمني وأزال غيمة الجهل عني وأتقدم بهذا الإهداء والشكر الجزيل والامتنان الكثير لعائلتي الكريمة وللأستاذ الدكتور **الطاهر بونابي**

وإلى كل زميلاتي في الدراسة، إلى كل طالب علم يسعى لكسب المعرفة وتزويد رصيده المعرفي

اهدي هذا البحث إلى كل من ساندني من قريب أو بعيد، وأحمد الله أنه وفقني ومنحني القوة والشجاعة والصبر على تحمل أعباء هذا البحث.

إهداء

الحمد لله تعالى على منه وعونه في إتمام هذا البحث.

إلى اللذان وهباني كل ما يملكان في سبيل تحقيق أحلامي، إلى اللذان كان يدفعاني في كل مرة قدماً نحو الأمام للوصول إلى أهدافي وسهرا على تعليمي بتضحيات جسام.

إلى أبي الغالي الذي غرس في نفسي حب العمل والإخلاص فيه

إلى أمي الحبيبة التي غمرتني بحنانها ودعواتها لي بالتوفيق طوال مشواري العلمي .

جزاهما الله عني ألف خير

وإلى سندي في الحياة إخوتي

مقدمة

مقدمة

أ) أهمية الموضوع وإشكالياته:

يرصد هذا البحث بالدراسة في الباحث والمفكر والمؤرخ التونسي محمد الطالبي من خلال كتاباته المتنوعة في حقل التاريخ السياسي والاجتماعي في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط عامة، وفي تاريخ إفريقية خاصة، في قوالب المنهج والمعرفة التاريخية، والتي عبرت عن تجربة ثرية ومتينة عركتها مسارات تكوينية، التي خلفت له أفق ذهني واسع ومضطلع، ساعده في الكتابة التاريخية وأثر في منهجه الذي كان ثورة على الكتابة التقليدية، ومشروعا في تجديد الكتابة التاريخية بفكر حر مستنير ضرب فيها بسهم وافر في حقلي التاريخ السياسي والاجتماعي وما تضمنه من معارف تاريخية. ومنطوقه الذي عكس به مجرى صيرورة التاريخ .

ب)أسباب اختيار الموضوع:

ومن هنا ارتأيت أن أخوض في الموضوع بناء على جملة من الاعتبارات هي

أولا: رغبتي الملحة في معرفة شخصية محمد الطالبي التي تمثل قامة علمية تعكس باع طويل في الكتابة التاريخية وخصوصا في دراساته حول تاريخ إفريقية.

ثانيا: الاطلاع على القضايا التاريخية التي عالجها الطالبي في حقلي التاريخ السياسي والاجتماعي.

ثالثا: محاولة التعرف على طرق وأساليب إعماله للمنهج في الكتابة التاريخية ومنظوره ومنطقوه للتاريخ .

رابعا: الكشف عن تميزه في الدراسات التاريخية التي تخص المجال السياسي والاجتماعي التي تعكس تحليله لظواهر وتفسيره لها.

وانطلاقا من هذه الاعتبارات تولد إشكال عام ومحوري حول الموضوع:

إلى أي مدى نجح الطالبي في تناول التاريخ السياسي والاجتماعي بأدوات المنهج وقوالب المعرفة التاريخية، وبالتالي دشن لمرحلة مميزة في الكتابة التاريخية في الجامعة التونسية؟.

ويحسن التنبيه إلى أن هذا الإشكال يتفرع عنه إشكاليات فرعية تسوقنا إلى الاستقصاء حول مسارات تكوين الطالبي والتي هي منعطفا في صنع إنجازاته في التاريخ السياسي والاجتماعي؟

والى أي مدى انعكس منهجه في معالجة القضايا السياسية والاجتماعية على دراسته في تاريخ إفريقية خلال العصر الوسيط؟

ج) المنهج المتبع:

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على المنهج التاريخي بآلياته من وصف وتحليل ومقارنة، كون هذه الأدوات المنهجية تساعد على فهم أسلوب المؤرخ وتتبع الطريقة التي سلكها أثناء الكتابة التاريخية، وكذلك في تحليل الأنساق الداخلية للنصوص والوقوف على أسبابها ضمن قوالب المعرفة التاريخية .

د) هيكل الموضوع:

وبعد تطبيق الآليات المنهجية على المادة العلمية قمت بتوزيعها على أجزاء البحث الذي قسمته إلى أربعة فصول:

حيث استهللت البحث بمقدمة استعرضت فيها أهمية الموضوع وإشكاليته واتبعتها بعرض لأهم المصادر التي اعتمدت عليها في هذه البحث .

فتناولت في الفصل الأول مسارات التكوين والتلقي (المنزع والخيار) تطرقت فيه إلى عوامل تكوين محمد الطالبي وظروف تنشئته الاجتماعية، ثم تعرضت إلى تجربته في

الدراسات العليا بجامعة السوربون، وبعدها تطرقت بإيجاز إلى أثر المستشرقين في كتاباته وأفكاره .

أما الفصل الثاني فخصصته للبحث في منهجه محمد الطالبي في الكتابة التاريخية، كونه ركيزة هذه الدراسة، وفيه تناولت منهجه في التاريخانية من تحقيق وتوثيق ونقد ومقارنة وموضوعية، واتبعته بمنظوره المنهجي إلى للكتابة التاريخية عند ابن خلدون ت(732هـ-808/1332م-1406م) .

في حين تطرقت في الفصل الثالث لتجربة كتابته في التاريخ السياسي وضمنته القضايا التي عالجها في أطروحته الموسومة بالدولة الأغلبية التاريخ السياسي، والتي تمثل تأريخا للأفكار السياسية في العصر الوسيط، وتعكس تجربة الفرد ودوره في صناعة التاريخ، فضلا على منظوره للخلافة كونها مصدر الشرعية في الحكم في الإسلام .

فيما خصصت الفصل الرابع لقراءة التاريخ الاجتماعي وقسمته لقسمين، تناولت في القسم الأول الهجرة كقضية اجتماعية أثرت في إفريقية أيام الحفصيين وفي القسم الثاني عالجت مؤسسة الحسبة كخطة اقتصادية اجتماعية .

وختمت موضوع بحثي هذا بخاتمة تضمنت جملة من النتائج المتوصل إليها.

هـ) عرض وتحليل لأهم المصادر والمراجع:

اعتمدت في هذا البحث على المادة التاريخية التي كتبها الطالبي في التاريخ السياسي والاجتماعي والتي سوف نعرضها لاحقا حسب أهميتها بالنسبة لموضوع البحث تناولت كالتالي:

- **محمد الطالبي:** عيال الله أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه والآخرين[1]، اعتمدت عليه في تتبع مسارات تكوين الطالبي وتجربته في جامعة السوربون ـ كما أفادني في معرفة بعض آراءه المنهجية في الكتابة التاريخية ومنظوره إلى القضايا والظواهر التاريخية

[1] محمد الطالبي: عيار الله أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالأخرين، دار سراش، 1992 .

– **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي**[1]: ويشتمل على جل المصادر التي تؤرخ لهذه الفترة، وفيه انفرد عن سابقيه بهذه الدراسة من الباحثين العرب والمستشرقين أمثال فوندن هايدر، وحسن حسني عبد الوهاب، وذلك بمؤلفين افتقدهما هما الذين سبقوه افتتاح الدعوة للقاضي القيرواني، وطبقات أبي العرب، وفيه ما استفاد في تتبع القضايا السياسية والجوهرية في مجرى التاريخ .

– **فضلا على دراستين للطالبي تعكس طبيعة قراءته الاجتماعية وهما دراسة حول الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين**[2]: نشرته مجلة الأصالة وفيها أعطى صورة حول تأثير الأندلسي في المجتمع الإفريقي من الناحية الثقافية والاجتماعية أما الثانية فهي * **الحسبة**[3] **وقد نشرت في دائرة المعارف التونسية "كراس 4/ 1994"** * عالج قضية المصطلح وتتبع جذوره التاريخية، بالإضافة إلى عمل المحتسب وما يترتب عليه من الأثار الاجتماعية .

و) الصعوبات:

واجهتني أثناء البحث صعوبات عديدة منها:

– ضيق الوقت، طبيعة هذه الدراسة وهي تطبيقية تتطلب القراءة المتأنية والفاحصة لكتابات الطالبي قصد الوصول إلى فهم منهجه وأسلوبه في الكتابة، فالعملية إذن تتطلب الوقت.

– وقد حاولت أن أكون موضوعية قدر الإمكان في دراسة شخصية الطالبي، من خلال التطرق إلى إسهاماته في الكتابة التاريخية وغايتي من هذا البحث، أكون قد أسهمت في

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي(184–296هـ)/800–909 م)، تعريب: المنجي الصيادي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

[2] محمد الطالبي: الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين، مجلة الأصالة (الجزائر)، ع 1975/26.

[3] محمد الطالبي: الحسبة، دائرة المعارف التونسية، بين الحكمة، 1994/4.

كشف النقاب عن حرية محمد الطالبي في الكتابة التاريخية، نضيف للبحث العلمي في الجزائر هذا الإسهام المتواضع من احد رواد الفكر التاريخي المغاربي.

وفي الختام آمل أني قد وفقت في تقديم صورة عن هذه الشخصية وعن منهجها في الكتابة التاريخية عامة وفي التاريخ السياسي والاجتماعي خاصة في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

والحمد لله أولا وأخيرا وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن اهتدى بهداة إلى يوم الدين.

الفصل الأول:

مسارات التكوين والتلقي

(المنزع والخيار)

أ- مسارات تكوينه الأولى (العائلة والبيئة)

ب- تجربة الدراسات العليا بفرنسا (جامعة السربون)

يعد الأستاذ محمد الطالبي المفكر، والمؤرخ التونسي، ظاهرة فريدة وفذة في الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي، نظرا لكثرة مؤلفاته وتنوع موضوعاته وحجم اضطلاعه وموسوعيته، مما جعله محط اهتمام الباحثين، ضف إلى صفه في التحليل التي تعكس منهجه في الكتابة التاريخية نظرا لما حققه وأنجزه خلال مشواره العلمي، لا يمكن فهمها إلا على ضوء تتبع مسارات تكوينه ورصد اهم المحطات الفاصلة في حياته وتوجهاته .

فإلى أي مدى ساهمت هذه المحطات في صنع محمد طالبي المفكر والمؤرخ ؟

أ- مسارات تكوينه الأولى (العائلة والبيئة):

كانت مرحلة طفولة الأستاذ محمد طالبي (16 سبتمبر 1921) [1] كانت عربية إسلامية وفي هذا الصدد يقول: " إن علاقتي الأولى باللغة العربية لا تعود إلى المدرسة، بل هي متجذرة في عائلته العربية " .

فقد كان جده في ذلك العهد طالب علم، ويملك مكتبة في بيته لذلك فعلاقته بالمطالعة كانت في بيت العائلة، والمدرسة حين دخلها كانت مدرسة فرنسية، لكن ذهب كذلك للكتاب، وذلك بعد مغادرة المدرسة فقرأت القرآن في اللوحة، وأسمعت محفوظتي إلى المؤدب، عند عودتي إلى البيت أجد نفس الجو، أناسا يقرؤون القرآن ويرتلونه، وكانت عائلتي كلها على الطريقة القادرية .

وقد ساهمت البيئة والفضاء العلمي في تكوين مساره حيث يقول: " وقد وجدت في مكتبة جدي نفائس عديدة، مقامات الحريري[1]، مثلا عرفتها في مكتبته، وكذلك أمهات التفاسير من تفسير الرازي[2] وغيره "

---

[1] ولد محمد الطالبي بحاضرة تونس من أم ترجع إلى بلاد الخلافة العثمانية، وأب جذوره في الجزائر وذلك في (13 محرم 1340) (1924/09/16)، وهو مؤرخ ومفكر له إسهامات مميزة في مجال البحث العلمي، مقالات ودراسات وكتب في اللغة الغير عربية، فرنسية، إنجليزية، ونشرت في دوريات ومراكز خصصت، وهو من جيل المثقفين التونسيين الأول ذلك الجيل المؤسس الذي اضطلع بمهمة تكوين الجامعة التونسية وإرساء تقاليد عصرية في البحث العلمي داخلها، الذي غيبه الموت يوم 1 ماي 2017 عن عمر يناهز 96 عاما، محمد الطالبي: عيال الله أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه بالآخرين، دار سراش 1992، ص 3 – 8.

كل هذا على غرار ما كان يتلقاه من أفراد عائلته يقول: " كنا في لقائنا المنزلية نقرأ كل شيء ونأخذ من كل علم طرف من ذلك الحديث النبوي، والقرآن الكريم، وكذلك الفقه"

والحاصل هنا أن شخصيته صقلت بهذه المعارف العربية الإسلامية ويضيف كذلك " أن محيط عائلتي يستمد مناخه من الفضاء السكني المحيط بنا، فقد كنت أقطن (دار زاوية) دار سيدي البشير كذلك لا تفصلنا مسافة بعيدة عن ضريح سيدي بلحسن الشاذلي"

ومما زادا في عدته هو أنه كان يذهب إلى الخلدونية[3]، ويستمع للأستاذ الصادق الزمرلي لعثمان الكعاك[4] " [5] كما كان كذلك يستمع إلى العربي الكبادي، فهو يعتبر أفضل ما عرفت تونس من شيوخ العلم.

وبالتالي فإن هذه المرحلة أو المحطة التكوينية من حياة محمد الطالبي كانت متشبعة بالثقافة العربية الإسلامية والفضل في هذا يعود إلى عائلته وبيئته التي كان لها الدور البارز في صقل فكره.

---

[1] المقامات هي قطعة أدبية فنية تجمع موارد اللغة ونوادر التركيب بأسلوب مسجوع، نشأ هذا الفن في أواخر العصر العباسي، والتي ابتدعها بديع الزماني الهمذاني ليأتي بعد الحريري فنسج على منواله وكان أول ما وضع الحريري المقامات، المقامة الحريرية وهي الثامنة والأربعون (495هـ – 1101م)، الحريري مقامات الحريري، دار بيروت، بيروت، 1978، ص 5 –7 .

[2] هو الإمام فخر الدين الرازي صاحب كتاب التفسير الكبير ومفاتيح الغيب في تبيان آيات القرآن الكريم فهو حوى على أراء أئمة المفسرين وكبار الرواة، محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي، ط 1، دار الفكر، لبنان، 1081، ج1، ص 1–9.

[3] هي جمعية تأسست بإيعاز من المقيم العام "روني مسى" كانت فكرة ترتكز على وجوب إصلاح التعليم الإسلامي من طريق إدخال المناهج الفرنسية والعلوم في كل مالا يحس بجوهر التعليم الديني بهذه الطريقة بعدها أنشأ الجمعية بعد المصادقة على مرسوم 22 ديسمبر 1896، بناء على المادة الثانية من القانون الأساسي، نورالدين سريب ممارسات ثقافية وجمعنة سياسية: المثال التونسي، مجلة إنسانيات، ع 2، 1999، ص 3.

[4] الكعاك (1318–1396 هـ) (1960 – 1976 م) عثمان بن محمد بن العربي بن عثماني الكعاك العياض، من سلالة القاضي عياض الأندلسي الأصل، هاجر أجداد من الأندلس إلى تونس سنة 1613/1617، من كبار أعلام تونس المعاصرين أديب لغوي، مؤرخ غزير الإنتاج، محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1985، ج4، ص 167.

[5] محمد الطالبي: عيال الله، ص 17.

ب- تجربة في الدراسات العليا بفرنسا (جامعة السوربون)

لقد كانت تجربة الانتقال إلى فرنسا على نحو عصامي وهذا لما عاناه خلال هذه الفترة، بعد ذلك تم التأقلم مع الوضع وذلك رفقة الطلبة التونسيين، إلى أنها كانت تجربة فريدة كشفت له عن الكثير وفي هذه المحطة يقول " إن باريس كانت في فترة أواخر الأربعينيات والخمسينيات مخبرا هاما، فالحياة الفكرية كانت فيها متنوعة وخصبة والصراع الثقافي فيها كان قويا، فقد شهدت عنفوان الحركة الشيوعية[1]، التي كانت في أوجها وما تمارسه من إغراء في استقطاب طلبة شمال إفريقيا، من خلال نشاط الأحزاب والتنظيمات الشيوعية، وما كانت تقدمه لهم بالفكر المتفتح الذي يخدم قضايا العالم الثالث، فضلا عن أطارف أخرى كانت تمثل حركة العقائدية الفلسفية" [2].

كما شهد حركة جون بول سارتر زعيم الحركة الوجودية الفلسفية، [3] والتي كانت في ذروة مجدها وتأثيرها، وما كانت تنشره من كراسات عقلانية[4] تبث من خلالها فكرة النفاتية[5].

كما عاش مشاهدة المشهد الثقافي الفرنسي في تلك الفترة إلا إذا تحدثنا في الأوساط المسيحية التي ردت الفعل وسمحت إلى خلق خلايا في صفوف الطلبة لأنها أحست بأنها مستهدفة أكثر من غيرها بالفكر الوجودي والنفاتي، وقد اشرف على تكوين تلك الخلايا

---

[1] الشيوعية هي مجموعة الأفكار ثورية ماركسية، تنادي بضرورة وحتمية بالإطاحة بالنظام الرأسمالي، وإقامة مجتمع المساواة والعدالة، وتقوم على الملكية العامة، لوسائل الإنتاج والمساواة الاجتماعية، عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات، ط4، ج3، ص 534.

[2] محمد الطالبي: عيال الله، ص 23.

[3] هو الفيلسوف الفرنسي ولد عام 1905، في باريس وتوفي 1980، ولما تحصل على شهادة الأجريجاسيون التي تؤهله للتدريس في الجامعات الفرنسية، رفض القيام بهذه المهمة وانحرف إلى النشر الوجودية في العالم عن طريق التأليف والنشر ومن أهم مؤلفاته: الوجود والعدم الوجودية، النزعة الإنسانية، مصطفى غالب: سارتر والوجودية، دار مكتبة الهلال، بيروت 1986 ص 15.

[4] العقلانية هي مذهب فكري يقول بأولوية العقل، وأن جميع المعارف تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية الموجودة فيه، وليست من الحس أو التجربة، جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994، ج 2، ص 99.

[5] تعني هذه الكلمة كل الذين يثقون وجود الله وهذا الهدف هذه الكراسات العقلانية نشر الفكر الثقافي في نظر محمد الطالبي: عيال الله، ص 24.

الأساقفة ومركزهم في ساحة المرجون أو مركز ريشيليو، وشخصيا ترددت على هذا المركز وعلى غيره من المراكز، لأن كل طالب كان يذهب إلى باريس يجد نفسه تتجاذبه تيار الوجودية والنفاتية في اتجاهات مختلفة.[1]

لذلك كان طالبي يتردد إلى المركز رشيليو ويستمع إلى المحاضرات التي يلقيها أهل الاختصاص في المسيحية، ويقول كذلك " كما قرأت كرسات العقلانية وحضر دروسا متنوعة عديدة، غير مقتصر على اختصاصي، وحضرت دروسا في التاريخ وفي الفلسفة لكن زبدة ما استقاه من هذا المناخ الثقافي المشحون بمختلف الآراء التي اطلع عليها كشف حولها يقول: " إن باريس الأربعينيات والخمسينيات هي باريس التيارات المتنازعة تنازعا قويا مما يجعل الإنسان يكتسب حقا خبرة، ويجمع ثورة فكرية نادرة، وأما الحياة الجامعية فقد كانت نخبوية، وفي هذا الوسط كان يمكن أن تتأثر بالشيوعية أو المسيحية، أو بالثقافية أو بالوجودية، غير أني قد حافظت على الموروث الذي ذهبت به إلى فرنسا"[2]

هذا لا يعني أنه لم يتأثر أو لم يأخذ بالآراء والأفكار التي عاصرها في باريس مما وإنما بالإدماج معها مفضلا الأفكار الإيجابية التي تخدمه فقد: " تعلمت أشياء عديدة، الوجودية علمتني مثلا أن المثالية ليست كل شيء، ولابد من النظر في الواقع الملموس، وما هو موجود، وأن تنطلق من الموجود، وأن نفتح أعيننا على الواقع، وأنا اليوم أعتبر نفسي مثاليا، لكن لابد من ترياق نقاوم به الإفراط في المثالية، وهو ما أتى به سارتر وإلى ذلك أعتقد أن سيغوند فرويد [3] أحدث ثورة عارمة أثرت في كل الناس، وأنا منهم فقد

[1] محمد الطالبي: عيال الله، ص 24 – 25.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص 25.

[3] ولد سنة 1856، في السادس من شهر مايو، في فريبرج بموراقيا، وكان والداه يهوديان، حصل على شهادة دكتوراه في الطب في وقت متأخر 1881، وذلك نظرا لاهتمام بالطب النفسي أكثر وانشغاله به لكنه تخلى عن علاج الأمراض العصبية العضوية، وفي الفترة التي انقضت من سنة 1886 إلى 1891 كان عمله العلمي ضئيلا وفي 1891 ظهر أول بحوثي عن شكل الأطفال المنجي، وفي نفس العام تلقى دعوة للمساهمة في دائرة معارف طبية، ليصل رائد التحليل النفسي وأستاذ المحللين بلا منازع حيث أصبح لفظ التحليل النفسي ذاته لفظا مبهما، فيعد أن كان في الأصل اسما

دفعني إلى أن أتساءل كلما فكرت في شيء أو كتبت شيء: أين ذلك من الحقيقة ؟ هل أنا صادق ؟ مخلص كل الإخلاص ؟ أم هل توجد دوافع باطنية في ضميري تحركني من حيث لا أشعر [1]

إن التأثير الغربي والانفتاح الفكري الذي عرفه محمد الطالبي وعلى الرغم من أنها مخالفة لفكره إلى أنه سعى إلى معرفتها ومعرفة أرادها وتوجهاتها، مما أضفى على شخصيته الموسوعية ولها لمستها في الكتابة التاريخية لديه وفي هذا الخصوص يقول: "إن كراسات العقلانية أضافت لي (العقلانية)، وهي ليست حمقا ولا شتما، إن العقلانية مذهبية كسائر المذهبيات، لها مقوماتها ويجب أن تؤخذ بكل جدية ... ويجب أن تنصت إلى العقلانيين لأنهم يلقون علينا أسئلة ويستفزوننا استفزازات أساسية بالنسبة إلينا حتى نكون مؤمنين مبصرين لا مؤمنين يسبحون في ظلمات حدود أفكارهم المغلقة "[2]

ويتابع راويه ويقول: " أن اليوم أقرأ وأطالع كتابات أختلف معها أيما اختلاف ولها اتجاه عقلاني، مثل كتابات جاك مونو وميشال فوكو وكلاهما عقلانيين، أفعل ذلك لأنني لا أريد أن أكون منغلقا " [3]

إن عبور محمد الطالبي إلى التاريخ كان بعد شيء من التردد وهذا بحكم تخصصه آنذاك هو الأدب العربي وفي هذا يقول: " تكويني الأساسي هو الإجازة في الآداب العربية التي كانت تتكون من ثلاث شهادات في اللغة والحضارة والآداب العربية وشهادة رابعة في الآداب الفرنسية واللاتينية، شخصيا درست في ميادين شتى فزيادة على العربية كنت شغوفا بمادة الفلسفة من جهة التاريخ الغربي من جهة أخرى، وحضرت بصفة تلقائية غير

لوسيلة علاجية خاصة أضفى فضلا عن ذلك اسما لعلم، علم العمليات النفسية اللاشعورية، ينظر فرويد حياتي والتحليل النفسي، ت ر مصطفى زيور فعبد المنعم المليجي، دار المعارف، 1994، ص 20-22 -31-105 .

[1] محمد الطالبي: عيال الله، ص 25.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص 26.

[3] محمد الطالبي: نفسه، ص 27.

منتظمة دروسا فيهما، واستفدت من ذلك، لأنتقل بعدها إلى التخصص في التاريخ وتم ذلك بعد شيء من التردد" [1]

لقد كان تأثير الشخصيات الغربية التي عنيت بالتخصص التاريخ الإسلامي في جامعة السوربون واضحا على فكر وأراء محمد الطالبي وكذلك منحى منهجه في الكتابة التاريخية ويطلق على هذه الفئة الغربية التي اهتمت بدراسة التاريخ الإسلامي بالمستشرقين وفي هذا الخصوص، يقول: "عموما تأثرت بلفي بروفنسال[2] التاريخي، وبطريقته المعتمدة على الصرامة والدقة والتشبث في النصوص والوثائق ونقدها وتأثرت برجيس بلا شير [3] ومنهجه اللغوي الصارم، وطريقته المتميزة في البحث التي تبلغ حد الإفراط في الشك وتبعا لذلك كان من الناحية الدينية توافقيا (إداريا) ... وتأثرت بماسينيون[4] ذي اتجاه الصوفي الروحاني وإضافة إلى ما تعلمته من دروس الفلسفة والتاريخ "[5]

[1] محمد الطالبي: عيال الله، ص 28-29.

[2] ليفي بروفنسال (1894-1956) مستشرق فرنسي اشتهر بأبحاثه في تاريخ المسلمين في إسبانيا، ولد في الجزائر من أسرة يهودية، ولاشك في ان أهم أعماله هو كتابه تاريخ إسبانيا الإسلامية، ينظر عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ط 3، دار العلم للملايين، لبنان، 1993، ص 520.

[3] برجيس بلاشير (رويجي) (1900-1973) في ضاحية مونروج (باريس)، وسافر مع أبوه موظفا في متجر ثم موظفا صغيرا في الإدارة الفرنسية في مراكش، قضى دراسته الثانوية في مدرسة فرنسية في الدار البيضاء، والتحق بالجامعة وحصل من جامعة الجزائر على الليسانس عام 1922، وفي عام 1929 عين في معهد الدراسات العليا المغربية بفضل ليفي بروفنسال، واستمر في عمله، وفي 1936، حصل على دكتوراه الدولة من جامعة باريس، عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، ص 127.

[4] ماسنيون (1883-1962) مستشرق فرنسي عظيم، وهو قد امتاز عن غيره بنفوذ النظرة وعن الاستيطان والقدرة على استنباط التيارات المنشورة وراء المذاهب الظاهرة والأفكار السطحية، عرف خصوصا بدراسته في التصرف الإسلامي عامة، وفي الحلاج خاصة، وعني كذلك بالآثار الإسلامية، عبد الرحمان بدوي: المرجع نفسه، ص 529.

[5] محمد الطالبي، عيال الله، ص 31.

الفصل الثاني

منهج محمد الطالبي في الكتابة التاريخية

1. منهج محمد الطالبي في الكتابة التاريخية:

أ- التحقيق والتوثيق

ب-النقد

ج-المقارنة

د- الموضوعية

2. منظوره لتاريخ ومنهج ابن خلدون في الكتابة التاريخية

أ- منظوره لتاريخ

ب-منظوره لمنهجية ابن خلدون في كتابة التاريخية

1- منهج محمد الطالبي في الكتابة التاريخية

تولى الأستاذ محمد الطالبي خلال مسيرته، عدة مهام ومسؤوليات منها أستاذ التاريخ الإسلامي واللغة العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة التونسية . وكان أول عميد لها سنة 1955، قبل أن يشغل مرة أخرى نفس الخطة في سبعينيات القرن الماضي وتولى في الثمانينات اللجنة الثقافية الوطنية في وزارة الشؤون الثقافية في الجمهورية التونسية، وقام بتأسيس الجمعية الدولية للمسلمين القرآنيين في 21 آذار 2013 وأشرف عليها بنفسه، ليستقل منها لأسباب صحية في شهر سبتمبر 2016 .تميز الراحل بغزارة علمه، حيث أصدر أكثر من 26 كتابا أغلبها باللغة الفرنسية وبعضها ترجم إلى اللغة العربية ومن بينها، التاريخ السياسي للدولة الأغلبية ودراسات في تاريخ إفريقية وفي الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، وإسلام معاصره وعيال الله، أمة الوسط، ليطمئن قلبي.

أ- التحقيق والتوثيق:

إن كتابات الأستاذ محمد الطالبي تنوعت مصادره ومراجعه، ويلاحظ أنه عمل على تحقيق مخطوطات، في مؤلفين هما: الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة (184-296)، (800-909) حيث قام بتحقيق ثلاث مخطوطات من مكتبة القيروان الأثرية، كشفت هذه المخطوطات التي لنا عن الصراع اللاهوتي الذي كان بالقيروان عن عهد الأغالبة وغيرها، ويرى أن" وقيمتها في هذا الميدان فريدة من نوعها إذ لا نملك غيرها، كما أنه قد عمل على تتبع التحقيق وفق شروطه، هذه المخطوطات تعرض لنا المسائل اللاهوتية التي كانت تدور حول الاعتزال وخلق القرآن، والجهمية والمرجئة، والقول بالقدر.[1]

[1] محمد الطالبي: الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة (184-296\800-909): تحقيق ثلاث مخطوطات من مكتبة القيروان الأثرية، ط1، سوتيميديا، تونس، 2017، ص18-19.

وفي كتابه الموسوم تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، حيث ترجم لشخصيات أغلبية على حساب طبقات الطبقة الكبرى والوسطى ممن تفقه عن مالك مباشرة، والثانية والثالثة والرابعة من بعدها، في هذا العمل سعى لجمع جل النسخ المتوفرة من المخطوط ومقابلتها بعضها أي مقابلة النسخ ببعضها ويذكر ما يرد في نسخة عن غيرها[1].

أما فيما يخص التوثيق فنلاحظ انه قد أخذ أساليب متعددة في توثيق مادته فأحيانا يورد المصدر بشكل صريح ومتكامل، ذاكرا اسم الكاتب ومؤلفه ومثال على ذلك قوله: " أما الفقرة التي نقلناها عن " المدارك لعياض " وفي بعض الأحيان يكتفي بذكر بعض المصادر بأسماء مؤلفيها فقط في قوله: " وأوضح البكري من جهة أخرى "[2] وكذلك قوله: "واستخلص ابن عذاري العبرة "وأحيانا نجده يذكر مصادر بأسماء المؤلفات دون ذكر أسماء مؤلفيها مثل قوله: " وهناك رواية أخرى بكتاب العبر " [3]

كما نجد من شدة حرصه على النقل والتوثيق الصحيح بذكر الإسناد الذي ذكره المصدر، وذلك لأنه رأى أنّه يخدم منهجهُ من التثبيت في التعامل مع المصادر، وهذا دليل على دقة المعلومات التي ينقل عنها من جهة وأمانته من جهة أخرى مثال قوله: " وقد احتفظ بهذه الرواية البكري، وابن خلدون نقلاً عن الأخير ابن عذاري بكيفية مستقلة"[4]

كما نجد الأستاذ محمد الطالبي نهج منهج المقاربة بين الأخبار المصادر والنصوص ويرجح بعضها على بعض وحسب إلى نماذج من كتاباته في التاريخ السياسي للغرب الإسلامي، مثال حديثه في كتابه الدولة الأغلبية حول قضية شخصية إبراهيم الثاني في قوله: "فقد اقتبست جميع الألوان الحالكة المستخدمة لرسم صورة إبراهيم الثاني، وقد صرح

[1] محمد الطالبي: تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، الجامعة التونسية 1968.

[2] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص276.

[3] محمد الطالبي: نفسه، ص94.

[4] محمد الطالبي وإبراهيم العبيدي: البرغواطيون في المغرب، ط1، تانسيفت، دار البيضاء، المغرب، 1999، ص8.

بذلك المؤرخون، عن الرقيق المتوفى بعد سنة 418هـ /1027-1028)، الذي نقل عن مصادر أخرى لم تصلنا، قام عموما بعمل الناقل النزيه وهو لم يختلق قطعا الحكايات التي وصلتنا عن طريقه، لكن يرى الأستاذ محمد الطالبي الرقيق قام بلا شك بالانتقاد في ذكر صورة إبراهيم الثاني فهو فضل الإطالة في عيوبه ومن هذا المنطلق نقلت عنه الحكايات السوداء، لكن تشيع الرقيق وهو الذي كان رئيسا للحجاب في عهد بني زيري طيلة ربع قرن، بعدها يذكر ظهور تأليف احد أقطاب أعقاب بني زيري وهو ابن شداد المتوفى 582هـ-1182م، فنقل عنه ابن الأثير الشامي 630هـ-1233م اذا كان ابن شداد يعيش في دمشق لم يذكر شيئا عن قساوة إبراهيم، وهكذا يتسنى لنا ملاحظة روايتين مختلفتين حول إبراهيم الثاني على حد قول الأستاذ محمد الطالبي، ليواصل بعدها أن الأول مناهضة للأمير وهي منقولة عن الرقيق الشيعي، في حين الثانية أيدت الأمير الأغلبي هي رواية ابن شداد بعد يعلل السبب وراء ذلك وبالنظر إلى أن ابن شداد قد توفرت لديه الوثائق غزيرة ومتنوعة وهي تمتد بلا شك إلى تأليف الرقيق، ولذلك فإننا نعتقد أنه تعمد بالنظر إلى تغيير الظروف السياسية، إهمال المأخذ المنسوبة إلى إبراهيم الثاني، بعد يثير سؤال جوهري حول الأمير متتبعا ذلك بدقة وهو كيف أمكن للتاريخ المغربي أن يجاري الرقيق الشيعي عوض ابن شداد السني ؟ محاولا الإجابة عنه ولعلّ سبب ذلك أن المؤرخين المغاربة قد نسو ربما بسرعة أن الرقيق الذي أحرزه تأليفه نجاحاً كبير كان شيعيا فإنهم لم يشعروا بأي ارتياب اتجاه تأليف هو قيل كل شيء غير ديني، وبالتالي لا يستدعي أي تيقظ ولاشك أن صورة إبراهيم الثاني التي تضمنها الكتاب كانت مطابقة للصورة التي ارتسمت بوجه عام في أذهان المؤرخين فلم يشكو في إمكانية التزوير ولا في إمكانية صنع تلك الصورة من قبل الدعاية الشيعية .[1]

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص347-348.

كما نلاحظ أن الأستاذ محمد الطالبي استعمل الضبط الإحصائي للمعطيات الرقمية، المتمثلة في معطيات عددية للتجهيزات الحربية في قوله: " فتقدم العباس مع 900 من الخيالة، و5000 مشاة وتبعته على بعد مسافة 5000 جمل كانت تحمل 5000 لواء" [1]

وأخرى تخص الأسرى في قوله: " وقد ذكر عقبة بن نافع أسر 80000 عبد " [2]

ب- النقد:

تميز الأستاذ محمد الطالبي بنباهة وحس نقدي في مسألة تحقيقه للمخطوطات والمصادر التي وظفتها في مؤلفاته، والتي شملت قضايا إفريقية في العصر الوسيط، فأحاط بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، هذا فضلا عن رصده للإشكاليات مختلفة، التي تخدم مختلف العلاقات التي ربطتها بغيرها، وعليه فإننا نجده في أطروحته "الدولة الأغلبية التاريخ السياسي(184-296 هـ /808- 909) رؤية جديدة للمصادر المفقودة المتقدمة للعهد الأغلبي، والتي تفطن لها بين طيات المصادر المتأخرة التي أخذت عنها، أضف ذلك تنبيهه إلى اختلاف وجهات النظر والخيارات والرؤى بين المؤرخين وفي هذا يقول: " إن هذا الاختلاف في الميول والخيارات بالنظر إلى فقدان مصادر الأخبار المباشرة، هو أمر لا يمكن أن ناسف له طبعا، لكن ليس لنا إلا التسليم به، وهو بركة إلى حدها، غير أنه يسلم أيضا بضرورة نقص الحقيقة خلف ربط الرؤى ببعضها وعلى اختلاف أراءها معبراً عنها بقوله: " إذا جزأت المقصات لم تسلط جميعا على ذات المواقع ومن المؤكد ان أخبارنا حينئذ من أجزاء وقطع لم يحكم ربطها دائما، إحكاما جيدا، ولم تقطع تقطيعا من أولى، لكن فسيفساء الملونة المعروضة علينا والتي بانت عليها بقع عائمة بمكعب زالت أو نقلت للأبد، تركت لا محالة لفطنة المؤرخ وفكره الثاقب فرضه للتمرس ".

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 394.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص38 .

وعليه فإن الأستاذ محمد الطالبي من منظوره المنهجي ينصح بأن يكون المؤرخ مضطلع ومتفتح على مختلف الآراء حتى وإن تعارض مع فكره، فهو بذلك يسد ثغرة من ثغرات التي قد تخفي الحقيقة، وهذا لا يعني أنه يسلم بآراء غيره بل على العكس تماما، قائلا: " فالرجل المطلع قد نجا دوما وأبدا بالنسبة النصف، وهذا نصيب المؤرخ لأوائل العهد الوسيط، ومن هنا اتضحت ضرورة التمسك بكل أنواع الاحتياطات "، شراحا ذلك أمور سهلة وبسيطة وهي: " ألا تهمل أية إمكانية مهما صغرت، وأن التنوع وأن التقابل وترقب الأخبار فالقطرات الصغيرة تكون الأنهار العظيمة، لكن هذه القطرات نسبية لا محالة، اذا رمنا العمل على تجميعها "[1]

كما كان الأستاذ محمد الطالبي أمينا في نقله متفطن في كتابته أن كانت الرواية صحيحة مثلا: " اذا كانت رواية ابن الآبار صحيحة، وقد كان الأغلب يعمل آنذاك، ضمن الحرص الخاص للخليفة بقيادة عثمان بن نهيك الذي كلف مع بعض الضباط بتنفيذ الخطة " [2] ثم نجده يحيل القارئ إلى الهامش ويذكر المصادر التي لم ترد فيها هذه الرواية، فهذا إن دل على شيء فهو دليل على حرصه الشديد على النقل ومقابلة الروايات ببعضها لكي يؤكد أنه صادق في نقله وأنه قام بمقابلة هذه الروايات وبما تنفرد كل رواية عن الأخرى، لكي يتبين مصداقية هذه الروايات إن صحت.

نجد مثال أخر وهو حول دخول إبراهيم ابن الأغلب إلى الزاب، فهو عمد على ذكر جل الروايات على اختلافها حول الأمر وذلك عملا بالترتيب الزمني، ونجده يوضح ماذا انفردت عن غيرها ويحيلها إلى الهامش لتوضيح أكثر، مثلا نجده في بداية يذكر رواية اليعقوبي حول الأمر، يحيل القارئ إلى أنه انفرد بذكر أن إبراهيم بن الأغلب تولى الشرطة، كما يحلل السبب وراء ذلك، بعدها نجده يواصل التحليل على كل رواية في الهامش، وفي الأخير وضح خلاصة وهي عبارة عن جملة من الاستنتاجات قائلا: "ويدل

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص17-18.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص85.

النظر في هذه المستندات بداهة على أن التاريخ الصحيح لوصول إبراهيم إلى الزاب لم يعد يذكر منذ مدة بعيدة، فمن المحتمل أن هذا التاريخ لم يلاحظ ولم يدون أبدا "[1] وبالنظر لما قاله فهو ينفرد إذا بالأمر حول دخول إبراهيم ابن الأغلب إلى الزاب ثم يتابع التحليل ومقابلة الروايات ببعضها، مصرحا بجدوى العمل من أجل الوصول إلى الحقيقة وفي هذا يقول: "ومن هنا نشأت الضرورة لإخضاع ما ورد بمصادرنا للنقد الدقيق، ويبدو لنا أن هذا النقد أتاح فصل نتف من الحقيقة صمدت في التفتت الزمني، عن غشاء الالتباسات المختلفة المحيطة بها والتي جعلها غير صالحة في وضعها الخام "[2]

وقد أعطى مصطلح ينطبق على هذه العملية النقدية التي قام بها قائلا: "وبعد إنجاز هذا العمل التطهيري " لم تعد تتعارض المعطيات المتنوعة المستخرجة من الكتب اليعقوبي والبلاذري وابن الآبار، وبالأحرى، تميل جميعها وتتكامل فتسمح برسم بداية إبراهيم بصورة منطقية متلاحمة كل التلاحم "

وعليه فقد توصل الإسناد محمد الطالبي إلى دخول إبراهيم ابن الأغلب إلى بلاد الزاب بصفته منفيا ذلك قبل عشر سنوات من ارتقائه إلى إمارة القيروان وذلك في يونيو 790م ويواصل محمد الطالبي استنتاجاته حول ظروفها وظروف توليته الحكم واقتصر على عرضها في شكل استنتاجات، وكل هذا يرجعه إلى صمت المصادر عن الأمر .[3]

وقد لاحظنا أنه قد التزم بمنهج التاريخانية [4] تتبع نصوص المصادر ضمن قواعد هذا المنهج من تمحيص، وتحليل والتهميش، والنقد، والمقابلة والمقارنة، وتفسير وتأويل، محاولا أن يكون شديد الحرص وصاحب فكر مفرط في التحري في هذه النصوص

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص110.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص117.

[3] محمد الطالبي: نفسه، ص118.

[4] التاريخانية: يعرفها كارل بوبر: على أنها طريقة في معالجة العلوم الاجتماعية والتنبؤ التاريخي هو غايتها المنشودة كما يفترض بوبر أن هذه النزعة تزعم إمكانية التوصل إلى هذه الغاية وكذلك بالكشف على القوانين التي تسير التطور التاريخي وفقا لها، انظر كارل بوبر: بؤس الايدولوجيا، ترجمة: عبد الحميد ميرة، ط 1، دار الساقي للنشر، 1992، ص 13 .

المصدرية، وينصح المؤرخ بأن يتسلح بأدوات الملاحة على حد تعبيره التي يمكن الاطمئنان لها وينبغي طبعا أن نعرف كيفية استغلال الوسائل الموجود، وذلك في نظره ثمن ارتياع واكتشاف أوائل العهد الوسيط بإفريقية [1]

وهذه النظرة الثاقبة النقدية لهذه المصادر جعلت من الأستاذ محمد الطالبي في مصاف المؤرخ الفطن والمنقب على حد تعبير أسد رستم [2]

وإن توفرت هذه الخصائص والنظرات المنهجية الثاقبة هي تجعل الباحث المتمرس وذهنية المؤرخ المبرز في قمة التاريخانية على حد قول عبد الله العروي [3]

ج- المقارنة:

يعد منهج المقارنة – الموازنة والمقابلة – أساس العلوم الاجتماعية كلها من سياسية وتاريخ وأنثروبولوجيا، وألمح المفكر المغربي عبد الله العروي إلى ممارستها في الكتابة التاريخية قد برزت بشكل جلي وواضح في العصر الوسيط المغربي مع عبد الرحمن بن خلدون (808هـ /1407م) وفي العصر الوسيط الأوروبي مع ميكيافلى (1469-1532)، كما شكلت لب منهج مونتيسكيو (1689 / 1755) في كتاباته " روح القوانين " والرسائل الفارسية " وتأملات في تاريخ الرومان " [4]

ويصرح محمد الطالبي في كتابه " الدولة الأغلبية "، أنه تختلف نوعية الوثائق المتوفرة لمؤرخ أوائل العهد الوسيط في إفريقية، مما يجعل مهمته شاقة دون منازع، ولا يمكن حل كل الألغاز وبعدها يثير التساؤل الذي يعتقد أنه لا مفر منه وهو: " وهل يوجد

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 16.

[2] أسد رستم: مصطلح التاريخ: ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1443 – 2002، ص 44.

[3] عبد الله العروي: مفهوم التاريخ – الألفاظ والمذاهب –، ط 4، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، 2005، ج 2، ص 118.

[4] الطاهر بونابي: منهج أبي القاسم سعد الله في كتابه التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط في العصر الوسيط، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية لدراسات الإسلامية والإنسانية، قسنطينة، العدد 39، 2016، ص 346 .

ماض سلم لنا كل أسراره ؟ وهل توجد وثائق كاملة ؟ [1] بعد يعطي حل يرى انه الوحيد للوصول إلى الحقيقة التاريخية، تكمن وراء استعمال ما توفر لدينا منها بحذر وتبصر، يخول الينا ارتياد الماضي السحيق ارتيادا عميقا، "

فالوثائق المتوفرة لمؤرخ الأغالبة على حد تعبيره ليست تعبير عن مختلف النزعات المذهبية فقط، بل أنها تمثل أيضا أغراضا متنوعة ومستقلة عن بعضها بما فيه الكفاية، فيتيح بذلك القيام بمقارنات مفيدة جدا، وتنويع وجهات النظر [2]

لقد كان الأستاذ محمد الطالبي القدرة على توسيع دائرة المقارنة في ظل التطورات السياسية في التاريخ قائلا: " من جهة أخرى لم يكن هذا الوضع خاصا بالعالم الإسلامي، فقد كانت الإمبراطوريتان كبيرتان قائمتين في ذلك العصر، هما بيزنطية وإمبراطورية الكارولنجيين " . وتعانيان نفس المعاناة على حد تعبيره غير انهما تطورت تطورا مختلفا، تجده بعدها يصرح " لكن إذا كانت المقارنات، أي بين المملكات الثلاث الكبرى المتقاسمة العالم في مطلع القرن التاسع، قد أقامت هياكل مختلفة جدا مطابقة لحركتها الداخلية الخاصة بها، وذلك رغم تشابه مصاعبها بالخصوص أن العالم العربي الإسلامي في العصر الوسيط لم يعرف النظام الإقطاعي بالمعنى الدقيق[3]

كما نجد أن الأستاذ محمد الطالبي قد أجرى دراسة مقارنة للخرائط من أجل إبراز حدود الدولة الأغلبية، ويرى أن إفريقية ترتبط في عهد الأغالبة بروما وفي هذا يقول: " فقد كانت الحدود الرومانية والوندالية والبيزنطية، محل بحوث ومناقشات عديدة فهي تبين بدقة نسبية من خلال خط المقاومة الذي واجه به ابراهيم الأول وذريته الاضطرابات والهجمات، مستدلا بما ذكره اليعقوبي [4] الذي زار المغرب في عهد الأغالبة وألّف كتاب

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 20.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص 19.

[3] محمد الطالبي: نفسه، ص 372- 373.

[4] محمد الطالبي: نفسه، ص 146 -147 .

البلدان سنة (276هـ – 889م) كما أنه لاحظ أن إفريقية كانت لها ذاتية خاصة بها بحيث أنجزت بها روما عمل حضاري وأطوله أمد الذي شرعت فيه قرطاجة قبل ذلك معبر عنه أن روما صاغت الأرواح والقلوب، ومزجت إلى حد بعيد نسبيا بين مختلف العناصر البشرية، بذلك منحتهم وحدة لا تذكر على حد قوله مفسر ذلك ببقاء الحدود كما هو الواضح من الوندال ثم البيزنطيين، وأخير العرب، حتى في أوقات الكروب تمكنوا دائما من الحفاظ على نفس الحدود تقريبا، ويوضح محمد الطالبي ان هذه الظاهرة ودوم نفس الحدود التي لا تقدر أي ظاهرة في الجغرافية الطبيعية على شرحها في نظم متباينة جدا وطيلة قرون، وهو حد يكتسي دلالة معينة [1]

د- الموضوعية:

وعلى الرغم من تأثر الأستاذ محمد الطالبي بالفكر الماركسي، أنه يرفض فيها فكرة أنها تجعل من المادية الجدلية المحرك الوحيد والأساسي للتاريخ، وعليه فإنها تؤول التاريخ من بدايته البدائية الأولى إلى اليوم على أنه حركة تهدف إلى غاية، هي المجتمع الخالي من الطبقات وهذا ما أرفضه أي أنه يؤمن يوجد الطبقات في المجتمع وفي هذا الصدد يقول: " وهذا ما أرفضه تماما لأنني لا أعتقد أنه يمكن أن نقيم الدليل على هذا ولا أعتقد أنه يمكن أن نكتب التاريخ من هذه الزاوية، لأننا ندخل في مذهبيات، ونغضب التاريخ على قول ما نريد، فتكون عندئذ الكتابة التاريخية قائمة على إطار مسبق فأختار الوثائق ما يروق لي، وأترك ما لا يروق لي، وأقوم بعملية تأويل لكل ذلك حتى يدخل في الإطار المسبق الذي وضعته وهذا ما أرفضه "

وهذا إن دل على شيء فهو أنه يسعى أن يكون صادق مع نفسه قبل أن يوجه صدقة للكتابة التاريخية مما ألزمه التحري في كل ما يأخذ به من أفكار وإن تجلّى ذلك فإنه لا يبالغ بوصف نفسه أنّه موضوعي فيما يخص الكتابة التاريخية قائلا: " ولا أقول باسم

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 148-149

الموضوعية وإنما باسم مجهود الموضوعية لأنني أعتقد أن الموضوعية لسوء الحظ ولعلّه لحسن الحظ في مذهبي واعتقادي مستحيلة تماما، ولكن هذا لا يعني ان أبني التاريخ بينة مذهبية مسبقة وأصوغه فيها ... تلك مغالطة![1]، رؤية الأستاذ محمد الطالبي للموضوعية.

من زاوية تختلف عما هو متعارف عليه على أنها الحياء، ويعطيها منطلق مختلف وكان صريحا بما فيه الكفاية مع نفسه، وفي الصدد يقول: " إن الموضوعية المطلقة غير موجودة، وتكاد تكون مستحيلة ولكن الاجتهاد والجهد الموضوعية ممكن، وبقدر ما يكون الإنسان متفتحا على التيارات المختلفة، وغير منغلق يستطيع ان يكو ن أقرب من الموضوعية، وهذا كل ما نطالب به الفرد، ويكرر وينوه ويؤكد على هذه النقطة.

أن الموضوعية المطلقة مستحيلة وذلك في نظره بحكم بنية الإنسان نفسه قائلا: فلا أستطيع أن تناوله إلا من خلال نفسي وبصري، وعقلي شارحا الأمر بكل منطق، فهو يسعى للوصول إلى نقطة مفادها، أن يكون واسع التفكير متفتحا على الآراء المختلفة ليسهل الأمر إلى الوصول على حد تعبيره إلى الجهد الموضوعي قائلا: " وكل التأثيرات التي تأثرت بها تصب في هذا المصب في نهاية الأمر، وأنه واجب كل الناس احترام فكر الغير وكل المذهبيات والتيارات حتى يضطلع بنفسه اضطلاعا واعيا، وهذا الاضطلاع الواعي والصادق بالنفس يسمى فالإسلام بالإخلاص، ويظهر في عامل سلوك الفرد بما فيه ذلك السلوك الفكري والمنهجي والتأليفي الذي تطرح فيه أفكارنا.

كذلك نجد أن محمد الطالبي متمسك بتنشئته العربية الإسلامية وفي هذا يقول: " وتوجد عبارة في حضارتنا العربية اعشقها، وقد تعلمتها من جدي في بيتي وهي ما كان يختم به علماؤنا كتاباتهم: أي عبارة والله أعلم . فهي منتهى التواضع العلمي " [2]

لقد مارس الموضوعية في أعماله وفي قضايا عديدة تخص الأغالبة حيث نجده لا توانى في اطلاق الأحكام عليهم بما يراه بعد التحليل والمقابلة والنقد صحيحا، مثلا فيما

[1] محمد الطالبي: عيال الله، ص 27.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص 27 –28 .

يخص البربر بولاية طرابلس (196 هـ – 812م) حيث وقعت معاهدة بين عبد الله الأول مع بني رستم، على أن تكون سيادة البرية والبحر للأغالبة، وأن يترك داخل البلاد للبربر، مما يشير تساؤلات لدى محمد الطالبي منكم دام هذا الاتفاق على التعايش مع الوقت ؟ وقد توصل إليه المتحاربون بعد قتال غير ثابت ؟ مما جعل الطالبي يحاول الإجابة عليه افتراضا، لأنه رأى أنه لا يوجد نص يقدم لنا إجابة على هذا السؤال قائلا: " فنجد أنفسنا محمولين على الافتراض أن الأغالبة لم يعدلوا أبدا وبكل تأكيد على اعتبار البربر بصورة نهائية رعاياهم من الوجهة القانونية إذ كانوا مقيمين داخل البلاد بولاية طرابلس [1].

ونجد كذلك في حديثه في شخصية ابراهيم الثاني الذي حاول أن يكون منصفا في حق الحقيقة التاريخية، فوصفه بأنه مجنون وذلك انطلاقا مما أملته عليه النصوص المصدرية قائلا: " لكن ابراهيم قد تطور نحو الاستبداد الذي كان من وعي تام، فلا أقل من يقال أنه تخلص أكثر فأكثر من كل رقابة، بما في ذلك وقاية العقل السليم . [2]

كما أنه لم يستغني في كتاباته التاريخية عن الموضوعية التي ينشد إليه فتجده يستشهد بما كتبه أنصار المدرسة الاستشراقية عن تاريخ منطقة الغرب الإسلامي، محاولا نقدها وإبراز أخطائها دون نسيان محاسنها . فهو يؤمن بتعدد الآراء والاختلاف الحاصل، أمثال فوندر هايدن وفورنال [3].

لنلخص في الأخير أن محمد الطالبي من المؤرخين الذين حاولوا ان تكون اهتماماتهم من منطلقات منهجية لفهم التاريخ والولوج إلى المستقبل، فالغاية في نظر الطالبي من التاريخ هي نفسها الغاية إلى تحرك كل الخليقة من النشر إلى الارتقاء [4]

---

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 288–289.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص 322.

[3] محمد الطالبي: نفسه، ص 11.

[4] محمد الطالبي: التاريخ ومشاكل اليوم والغد، مجلة عالم فكر، مطبعة حكومة الكويت، ع 1، 1974، ج 5، ص16.

2- منظور محمد الطالبي للتاريخ ومنهج ابن خلدون في الكتابة التاريخية:

أ- منظور محمد الطالبي للتاريخ:

لقد تناول محمد الطالبي قضايا جوهرية وعميقة في مقال حول التاريخ بعنوان " التاريخ ومشاكل اليوم والغد " بأسلوب دقيق وشامل، منها الإنسان والتاريخ اليوم معبرا عنها بصورة تلامس الفكر، وذلك من خلال ما عهدنا في كتاباته بطرح تساؤلات، فهو طرح سؤال عظيم الأهمية وهو: " هل الحوادث أي الهزات العظيمة التي اعتاد أن يسجلها التاريخ هي حقيقة أجل ما يوجه عجلة مصيرنا ؟ وجوابه كان معبرا عنه بصورة بيانية هادفة " ان الزلازل التي اعتاد أن يسجلها الإنسان في ذعر وفزع لا تزيد على أن تخدش وجه الأرض خدشا لا يبقى له اثر، بينما التعاريج الوديعة الخفية عن العيان، هي التي تكيف الجبال والأودية والبحار " هذه الإجابة تنم عن مؤرخ أديب فهي تعطينا فكر عن المستوى العالي الذي وصل اليه، واصفا أن فهم أجدادنا لتاريخ عندما كان في طور الطفولة ورد في شكل حوليات شحنت بكل حادثة جليلة، اعتبرت جديرة بان تسجل على صفحات التاريخ ... فإذا بصفحات هذا التاريخ تكاد تكون خالية من وصف الإنسان في حياته اليومية، ويرى أن الحوادث احتلت كل مكان، وطردت في النهاية الإنسان، بعدها ظهرت نزعة أخرى جعلت التاريخ يعبر أكثر عناية للإنسان العادي ويوجه نحوه الأنوار التي كانت مقتصرة على الحدث البارز، كما أنه لا ينكر الدور الذي تلعبه هذه الحوادث الحاسمة، وفي نظره أنه يؤكد عليها حتى لا نتخلص من تطرف لنقع في تطرف معاكس – غير أن هذه الحوادث مهما كانت جسيمة، فهي لا تزيد على أن تكون شبيهة لتلك التجاعيد التي تكسو سطح البحار وليدة ما يجري في الأعماق، وتلك الأعماق بالنسبة له هي مواطن روح الإنسان العادي، وظروف حياة الشعوب الكادحة [1] .

[1] محمد الطالبي: التاريخ ومشاكل اليوم والغد، مجلة عالم الفكر، ع1، 1974، ص 13.

لقد اعتاد التاريخ التقليدي[1] أن يسجل الهزات السطحية، وأصبحنا عن أسبابها البعيدة وأسرار الدفينة، ذلك هو التغيير الجذري الذي طرأ على العلاقة الجدلية التي تربط الإنسان اليوم، بتاريخه .

يرى الأستاذ محمد الطالبي أن تعريف التاريخ، هو ذلك الذي يعبر عن الإنسان في محيطه معبر عنه بقوله: " إن علم الإنسان في وضعه وأحواله المتبدلة دائما أبدا، الذي يرى فيها حل للألغاز المتعلقة بالإنسان والذي يبسط سلطانه على الماضي وهو امتداد مستمر، وعليه فهو علم تطور الإنسان بلا انقطاع على مدى الزمان محاولا أن يدركه وأن يفهمه وينير لنا مختلف مراحله [2].

ثم يتعرض الأستاذ إلى قضية أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها وهي الغاية من التاريخ أو الهدف المنشود منه، التاريخ في نظره غايته وضالته أن يفهم الإنسان، فالتاريخ هو من خلق فكر الإنسان وبعد هذه الاستنتاج توصل إلى فكره مفادها هي أن الغاية التي يسير بنا – أو بفضلنا – نحوها التاريخ هي نفس الغاية التي تحرك الخليقة من النشوء إلى الارتقاء، ويرى حركة التاريخ الوحيدة لا جدال فيها .[3]

ب- منظوره لمنهجية ابن خلدون في الكتابة التاريخية:

لقد عالج الأستاذ محمد الطالبي منهج ابن خلدون ومنظوره للتاريخ في العديد من كتاباته، منها " منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر وفيها صرح تأثره بابن خلدون، في قوله " ابن خلدون لم يكن مؤرخا كغيره من المؤرخين فحسب، كان أيضا مفكر، بل إنه كان مفكر قبل أن يكون مؤرخا، الذي لم يكن تكوينه في

[1] التاريخ التقليدي: هو الذي يهتم بصورة خاصة بالأفراد وبالفئات العليا ومن المجتمع وبنخبة(الملوك ورجال الدولة وقادة الثورات) وبالمؤسسات التي تهيمن عليها النخب (السياسية والاقتصادية والدينية)، ويسمى كذلك بالتاريخ الرانكي نسبة للمؤرخ ليو لدفون رانكه 1790م، أنظر خالد طحطح: الكتابة التاريخية، ج 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 79 – 80.

[2] محمد الطالبي: التاريخ ومشاكل اليوم والغد، ص 14.

[3] محمد الطالبي: نفسه، ص ص 15-16.

بادئ الأمر تكوين مؤرخ، وذلك بالاستناد إلى أن كل الكتب التي كتبها قبل المقدمة تدل على خلاف ذلك، كان اتجاهه أولا نحو الفلسفة بإشراف أستاذه الآبلي، ثم إن لقاء ابن خلدون بالتاريخ على حد تعبير محمد الطالبي كان عرضا في حياته، منعرجا مفاجئا بقدر ما كان حاسما [1]، ويقول ان هذا المنعرج كان في ملتقى طريقتين، طريق المغامرات السياسية وطريق التأمل في الماضي قريبة وبعيدة وبعد الاندفاع في النشاط السياسي بكل ما يملك من اندفاع الشباب وحماسه وطموحه، ليعتزل طول أربع سنوات (776 هـ – 780هـ) (1375م – 1379 م) بقلعة بني سلامة، ويوضح الطالبي بعبارة " بل قل اصطدم بالتاريخ، أي أن ابن خلدون لم يكن التاريخ قصده المباشر بل أداة للإجابة على الأسئلة الكثير والملحة في ذهن ابن خلدون ولم يكن كذلك غايته آنذاك، وفي عزلته اكتشف علم لم يكن معروفا من قبل اسمه علم العمران، وله وضع المقدمة، وفي ذلك انعراج بين نقطة الانطلاق ونقطة البلوغ عند الانطلاق كانت شواغله بدون شك تتعلق بالمنهجية التاريخية التي في نظره لسلامة التأمل في الحوادث، قريبها وبعيدها وحاضرها وماضيها، ولابد من التأكد من صحة ما يروي إلينا وينقل، فوجب البحث عن منهجية توفر هذه الصحة .

إن ابن خلدون في نظر محمد الطالبي كان واعيا لذلك كامل الوعي، بل يقول إن عبارته تدل على مدى اندهاشه لهذا الاكتشاف المفاجئ، وعلى اعتزازه بطرافة وخطورة ما اهتدى اليه بحدس يشبه الإلهام الإلهي، لقد وضع هذا العلم للكشف عما يلحق (العمران البشري والاجتماع الإنساني) (من العوارض والأحوال لذاته)، أي للكشف عن النواميس الطبيعية التي تحرك الكون وتدفعه في طريق التاريخ .[2]

[1] محمد الطالبي: منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، ع 3/، ديسمبر 1980، ص 5.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص 6 – 7.

يرى الأستاذ الطالبي أن ابن خلدون اهتدى لعلم العمران نتيجة ثورته على مجرد النقل والتقليد، فهو يلاحظ أن منهجية الحديث التي أساسها التأكد من ثقة الرواة قد وضعت خاصة للعلوم الشرعية وما يتبعها من أمر ونهي، ويؤكد أن التاريخ ليس من العلوم الشرعية، فهو يفصله عن بقية العلوم النقلية محدثا بذلك ثورة في أساليب وتفكير عصره وذلك لأسباب منها أن التاريخ ليس بجامد، وإنما هو حركة ونمو، فهو تفطن لفكرة جوهرية هي تعويض منهجية الحديث بمنهجية أخرى أليق بالخبر، يأتي فيها نقد السند في الرتبة الثانية التي هي منهجية التاريخ، يحتل فيها القانون المطابقة المرتبة الأولى، الذي يلعب في تفكيره دورا محورا .[1]

لقد أثنى الأستاذ محمد الطالبي على التخطيط المحكم الذي رسمه ابن خلدون، ويرى فيه دلالة على شمول النظرة بالنسبة لكامل الظاهرة الاجتماعية، فالمحور الذي تلتم حوله كل القضايا يرتكز دائما على التساؤل الملح على سر في قيام الحضارات، وذبولها وموتها ثم قيام حضارات أخرى تخلفها وهذا التساؤل يعطي لكل الفصول وحدة الأسلوب والاتجاه في بسط القضايا ومعالجتها .[2]

فقد عمل بهذا المنهج الأستاذ محمد طالبي في أطروحته الموسومة بـ " الدولة الأغلبية التاريخ السياسي " قائلا: " لاشك أن ابن خلدون استحضر ذهنيا مصير الأغالبة وتمثل به خاصة عند تأمله في معنى التاريخ وتصنيف فلسفته . فهذا المصير يعتبر احسن شرح للمثلث التحليلي الذي أحكم وضعه، وللرسم الدوري في ثلاث مراحل نمو المجتمعات والدول، وهو رسم خصص لاستعراض ولادة الدول والحضارات المرتبطة بها وازدهارها ثم ذبولها وموتها " [3]

[1] محمد الطالبي: منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر، ص 8 – 11.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص 16.

[3] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 789.

يرى الأستاذ محمد الطالبي أن ابن خلدون كان واعيا كل الوعي أنه كان مجددا ثوريا في كتابه الأول في العمران، مقلدا كلاسيكيا في كتابه الثاني والثالث، وكان مرده إلى الانتصار والتلخيص، بعد يثير تساؤل مهم الطالبي هو " هل نجح ابن خلدون في تطبيق قانون المطابقة الذي أعده ؟ ويجب عليه مفاده أن قانون المطابقة شيء وتطبيقه شيء آخر، فهو يرى أنه تأثر وانحاز شعوريا رغم تحذيره من الانحياز وراء المذهبية والعاطفة، وعليه فإن ابن خلدون في نظره وقع فيما حذر منه في كتابه الأول، ويشير الطالبي أنه مهما كانت المنهجية التي اهتدى إليها سليمة في المستوى النظري، فهو لم يستطع في مستوى التطبيق، كذلك لم يستطع أن يتخلص من العوائق التي تحول عادة دون الموضوعية المطلقة [1]

كما نجد الأستاذ الطالبي في مواضع أخرى يشيد بعمل ابن خلدون قائلا: " لكن الآية الحق ذات القيمة العالمية، التي انتجتها ريشة ابن خلدون، هي المقدمة، هي مدخل عمل المؤرخ، ولهذا قدمت لنا بصفتها موسوعة تأليفية للمعارف المنهجية والثقافية الضرورية للمؤرخ ليتمكن من إنجاز عمل علمي حقا، وكانت اهتمامات ابن خلدون في المنطلق ابستومولوجية بالأساس تقتضي بالبحث إلى فلسفة التاريخ، وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد، وعلوم أخرى أيضا .[2]

[1] محمد الطالبي: منهجية ابن خلدون التاريخية، ص 22-24.

[2] محمد الطالبي: ابن خلدون {(732-808 هـ) (1332م – 1406م) }، مجلة دائرة المعارف التونسية، بيت الحكمة، قرطاج، الكراس 4، 1994، ص 35-36.

الفصل الثالث

مجرى التاريخ السياسي

عند محمد الطالبي

أ- كتاب التاريخ السياسي للدولة الأغلبية

ب- تاريخ الأفكار السياسية عند محمد الطالبي

ج- دور الفرد في صناعة التاريخ

د- الخلافة (منظوره للخلافة)

أ- كتاب التاريخ السياسي للدولة الأغلبية:

يرى الأستاذ الطالبي أن لا يمكن فصل الأحداث عن بعضها للوصول إلى حقيقة التاريخ معبر عن صعوبة الوصول إلى الحقيقة التاريخية: " أنه من المستحيل اجتثاث الأحداث بكل ثمن من قلب التاريخ إذ توجد مراصد كثيرة متساوية الأهمية لإدراك الماضي في تراثه الكامل، ولكل امر اعتبار فيجب البدء من البداية، لكن اذا كانت الوقائع حسنة الوضع نسبيا، وإذا كان الهيكل مركبا تركيبا متينا، في خصوص التاريخ الأوربي، فليس الأمر كذلك إذ تحولنا إلى التاريخ الإسلامي، فهو يرى أنه مختلف تماما وعليه فإن الطالبي قد سعى على أن يكون متفطن إلى فكرة البداية التي طرحها، وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي قائلا: " ولذا ورغما عن ميولنا ومشاغلنا التي تجذبنا جذبا أكبر إلى القضايا الحضارية، فقد منحنا التاريخ السياسي الأسبقية المطلقة، في هذه المرحلة (الدولة الأغلبية) وهذا من أجل الفهم الجيد للأحداث وتتبعها [1] وعلى غرار هذا فلقد كان متأثر بالفكر الماركسي آنذاك وفي هذا الصدد يقول: " ان الصراع الفكري الذي عشته في باريس جعلني أؤمن بجدوى الصراع، وحين كتبت أطروحتي في الأغالبة لم أكن خالي الذهن من الآراء الماركسية[2] " [3]

إن الطالبي انطلق من نقطة البداية في تاريخ إفريقية السياسي في العهد الوسيط ويرى أن الدولة الأغلبية كانت النواة الأولى لمصير إفريقية، فهي تمثل مكانة تاريخية،

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 10.

[2] هي نظرية مادية أي أنها تقر بأن الوجود مادي هو الذي يحدد الوعي، وأن العالم موجود مستقل عن الوعي وهو قائم منذ الأزل ولا حدود له في الزمان والمكان، وأنه يتطور لا بفعل قوى خارجية وإنما بفعل قوى داخلية، والواقع المادي هو الأساس، والوعي هو نتاج الواقع العادي وانعكاس له: الهادي التيمومي المدارس التاريخية الحديثة، ط1 دار التنوير للطباعة والنشر، دار محمد علي، بيروت، تونس، 2013، ص 125.

[3] محمد الطالبي: عيال الله، ص 26.

لأنها نتاج متولد عن الفتح الإسلامي لتتولى بعد ذلك في النمو والتطور وفي هذا يقول: "هي مرحلة التحرر إلى ثلث، اثر مخاض عسير أزمة التي حدثت في القرن السابع " [1]

وذلك استنادا لقول النويري: " أول دولة قامت بإفريقية، وجرى عليها اسم الدولة "[2] فكانت منذئذ الوجهة التي أخذها خطار تأريخ إفريقية وجهة حاسمة، وعليه فإن محمد الطالبي حاول أن يقدم صورة عن فكرة البداية ويتتبع قيام هذه الدولة، وذلك لاعتبار أنّها أول دولة جرى عليها اسم دولة بإفريقية بعد الفتح الإسلامي لها .

وقد أتى الطالبي على ذكر أهم الدراسات التي سبقت حول الموضوع، منها دراسة المستشرق فوندر هايدن التي اعتبرها من البواكير الأولى التي بحثت في الأغالبة، الذي ركز اهتمامه على القبائل البربرية التابعة لإدارة الأغالبة، إلى أن المعلومات قد تطورت من ذلك الوقت التي كتب فيه، لقول دراسة نقدية موجه لكتاب الطالبي " وقد كان لابد أن يضطلع واحد منا بكتابة تاريخه الأغالبة فإن تاريخهم الذي كتبه فوندر هايدن من قرابة ربع قرن، قد انقضى زمن ولم يعد يتماشى مع الوضع الحالي لمعلوماتنا عن بني الأغلب والتاريخ المغربي بصفة عامة، إلى ذلك الكتاب كان من أول الأمر ضعيفا حافلا بالأخطاء ووجوه النقص، ومؤلفه يعتبر من ضعاف المستشرقين" [3]

فاقترح الكثير من المؤرخين تجديد البحث في الموضوع، فانفرد الأستاذ الطالبي بتأليف كتاب التاريخ السياسي للدولة الأغلبية بمؤلفين (مصدرين) افتقدهما الذين سبقوه وهما كتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة للقاضي القيرواني النعمان بن حيون (توفي سنة 363م – 974م) وطبقات أبي العرب . لكن في خضم هذا الأمر وصعوبة الحصول على مصدر يلم بجميع حيثيات لموضوع إلى أن الطالبي يرى أن النصوص التي بين

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 10.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص 10.

[3] محمد الطالبي " الإمارة الأغلبية " ضمن نقد وعرض في مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج 14/1967-1968، ص 254-255.

أيدينا وحتى وإن كانت متأخرة، إلى أنها لا تفتقر إلى القيمة حتما، وفي هذا الصدد يقول " ليست هذه المؤلفات من وحي الخيال، ولم تكن محض افتراء، كان مؤلفها من المصنفين المجدين عامة، وقد اشتغلوا بنفس الضمير الذي كان المحدثين فقد قاموا عموما بطريقتهم بعمل محققي النصوص القديمة، ونكروا غالبا مصادرهم، وكلما أمكنهم التحري أتيح لنا التثبت من نزاهتهم في النقل والتلخيص الذي قاموا به، فقد أوجزوا لنا أو حافظو جملة وتفصيلا على الوثائق سبقتهم وهي اليوم مفقودة .[1]

إن عمل الطالبي قد نال استحسان العديد من المؤلفين، وقد أشار اضطلاعه وتفانيه في إنجاز هذا العمل وقد قيل فيه " كتاب الطالبي كتاب ممتاز تناول فيه تاريخ إفريقية العربية أي القطر التونسي مضافا اليه جزءا من الجزائر الحالية وجزء من ليبيا الحالية، تناولا يدل على اقتدار وتمكن ومعرفة بالأصول البحث من ناحية، وبالمراجع والمكان من ناحية أخرى، وقد احسن إذا بدأ بحثه بعد الفتح العربي مباشرة لكن يستطيع تتبع قيام تونس العربية وقيام دولة الجند العربي فيها " [2]

لتضيف دلال لواتي نقد لهذا العمل قائلة: " إن دراسة محمد الطالبي " الدولة الأغلبية "التاريخ السياسي كانت أكثر شمولا وعمقا، ولا يمكن لأي دارس في الحقل المغاربي والأغلبي خصوصا أن يستغني عن هذا العمل الدقيق والجاد والذي لا يتم إلا عن ذكاء صاحبه في الطرح والتحليل مع ما يمتلكه من أسلوب رفيع متبعه عن الأسلوب الجاف للدراسات السياسية، كما أنها قد أثنت على روح النقد التي تميز بها أسلوبه في الكتابة وتقول: " وعرض الأخبار الأغلبية بطريقة نقدية تنم عن روح قلما تتكرر في مجال الدراسات الأكاديمية، وما استعمله البلاغة الأدبية والاستعارة، ما يدل على فهم

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 16.

[2] محمد الطالبي: "الإمارة الأغلبية" معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ص 255.

عميق لخبايا السياسة الأغلبية، غير خاضع للإنشائية، فخدم أسلوبه التاريخ والدراسات المغاربية خدمة جليلة [1]

ب- تأريخ الأفكار السياسية في الإسلام في العصر الوسيط:

لقد شكل موضوع التاريخ السياسي للدولة الأغلبية الحجر الأساس فالمرتكز في أعمال محمد الطالبي عالج فيها قضية مهمة وهي تاريخ الفكر السياسي في الإسلام، فهو يرى أن الأفكار السياسية في العصر الوسيط تكتسي صبغة دينية، وعلى حد تعبيره امتزاج السياسة بالدين مع أولوية الثانية على حساب الأولى، وقد وصلت إلينا عن طريق مؤلفات الفقه، لأن الساسة كانوا فقهاء آنذاك، وذلك انطلاقا من مصطلح الأمة، الذي يرى محمد الطالبي من أهم الأفكار التي بدونها يبقى تأريخ العصر الوسيط مشوبا بالغموض، معبر عنها في قوله: "إن الأمة في آن واحد رمز الالتحام وقوة موحدة، والقرآن قطبها الجاذب، والرسول جامع شتاتها " [2]

ثم يأتي على ذكر تعريف يبدو في نظره أنه شامل جامع، يدمج فيه الماضي بالحاضر وتجتمع فيه شروط المصطلح الديني والسياسي قائلا: "وإنه يمثل كلمة جوهرية – كما هو الشأن بالنسبة لكل عصر– وفي لغة الدين والسياسة وكان يعبر عن اعتناق الدين، فكان مشحونا لذلك بمحتوى عاطفي شديد له من القوة ما يكفي لاستقطاب الطاقات وتسليح الأيدي عند الحاجة " [3]

ثم يأتي على ذكر المصطلح الثاني الذي هو الأخر له وزنه في الفكر السياسي الإسلامي وكعامل أخر من عوامل وحدة الأمة وهو قانونها، فالشريعة في نظر المسلم

[1] دلال لواتي: عامة القيروان في عصر الأغالبة، دار رؤية، القاهرة، 2015، ص 41 .

[2] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص67.

[3] محمد الطالبي: نفسه، ص70

خاصة في العصر الوسيط صادر عن الله بلا منازع، فهي شريعة الله، وقد أصبحت في نهاية .

القرن الثامن هي البداية ذات معالم مرسومة بدقة بفضل علم الفقه، لتشترك وتمتزج الحياة الدنيوية وحياة الآخرة، وعليه فإن الأستاذ الطالبي يرى أنّه لا يوجد تنافس بين السلطتين الدينية والسياسية، وأن الشريعة هي القانون الوحيد المودع عند الفقهاء الذين يقومون بشرحه، ثم يعطي العلاقة القائمة بين هذين المصطلحين الأمة والشريعة فالثانية أمدت الأمة بأسلوبها الخاص بالحياة حتى وإن لم تطبق كلها وفي كل مكان، فهي وضعت المميزات النوعية للأمة وأكسبتها مظهر خاصا ويحد موقعها ويدعم شعورها بنوعيتها ووحدتها، ولقد كانت الشريعة عنصر الأساسي في الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط، أي أنها عامل محرك، ملخصا ذلك في قوله: "الشريعة أسلوب شامل مثالي للحياة، قرره الله للأمة " [1]

لقد عمل محمد الطالبي على شرح عمل السنة وذلك ضمن إطار هيكل مختص يستمد قوانينه من الكتاب والسنة، والمتمثلة في الولاء والحكم على التمرد، والخضوع إلى السلطة لأنه عمل إيماني، لعب فيه أهل السنة دور مهم في بناء هذا الجهاز الخاضع للحكم هي الذي عاشت بفضله الدولة الإسلامية قرون كثيرة، معتمدين على الكتاب والسنة، ولقد تفطنت الأستاذ الطالبي إلى وجود كتاب ثمين بصورة خاصة في هذا الصدد، لأنه حرّر في الوقت الخطير الذي هو منوط بالتاريخ السياسي للدولة الأغلبية، موجها للخليفة، فهو بشكل حجة سياسية ذات أهمية كبرى، نعني به كتاب الخراج، الذي ألفه قاضي القضاة أبو يوسف، يلاحظ أنه تجاوز موضوع الخراج، حيث ورد في مقدمته نصيحة للأمير، وهي عبارة عن عدة أحاديث منسوبة كلها للرسول صل الله عليه وسلم، ومروية بسند كبار الصحابة، وهي تحث إلى خضوع بلا شرط، وتذكر بلا تردد

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 71 – 72

العصيان، فهي تؤيد السلطة، فهي تعبر بوضوح عن مفاهيم السياسة، وقد مثله أحسن تمثيل على حد قول الطالبي مذهب معروف، وهو أحمد ابن حنبل، الذي مارس تجربة الظلم في شخصه، لكن لم يتوانى عن التصريح بالصبر تحت لواء السلطة، فالخضوع في السلطة عمل إيماني لا تخلو منه أي عقيدة نسبية، وقد ارتبط هذا بعدم إثارة [1] القضايا التي من شانها أن تزرع الشقاق، وتثير الخصومات القديمة خاصة تلك التي قسمت المسلمين عند وفاة عثمان ابن عفان، وامتحنت وحدة الأمة، كما أنها ترمي إلى مصالحة الأمة مع نفسها على أساس قبول إمامة قريش، وبالتالي إمامة بن العباس إلى أن العقيدة الإسلامية تطورت منذ ظهور الخوارج والشيعة [2].

أي بداية اتخاذ المواقف السياسية . ثم يتطرق الطالبي إلى مسألة هي الأخرى لها أهمية بالغة في تأريخ الأفكار السياسية في العصر الوسيط هي عقيدة الخلافة، حيث وضعت هذه المؤسسة في مرتبة عقيدة حقيقية ثم إنه قام بتحليل نظري لهذه المسألة وذلك بالعودة لمؤلفات المتعلقة بالخلافة التي قد لجأ إليها الفقهاء، ولعل أقدمها الماوردي (384-450 هـ / 994- 1058م) والفراء(380-458هـ/ 990- 1065 م)، غير أنها قديمة وبعيدة في الفترة التي عالجها الأستاذ محمد الطالبي في تاريخ الدولة الأغلبية، لكن يصرح أنها لها من الفائدة ما يجعلها مهمة في وضع مبادئ بقيت حتى الفترة المعاصرة، فهي حجة عظيمة لفترة مخاضها ليصل في نهاية الأمر معلل أن الأفكار الدينية المتعلقة بالخلافة والمنتشرة كثيرا غمرت جميع الضمائر، لا بد أنها فعلت مفعولها عبر جميع

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية ، ص 75 – 76

[2] الخوارج: جمع الخارجة، وهم الذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذي سلطان من أئمة المسلمين وكل فرق الخوارج تتفق في مسالة الإمامة، حيث يقول الشهرستاني: " إذا جوزوا أن تكون الإمامة في قريش وكل من منصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلو من العدل واجتناب الجور كان أماما، ومن خرج عليه نصب القتال معه، وان بدل السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله وهم أشد الناس قولا بالقياس، وجوزوا ان يكون في العالم إماما أصلا، إن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبدا حرا أو قريشيا، أنظر: الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهني وعلي حسن فاعور، ط 3، دار المعرفة، بيروت، 1993، ص 143 .

العصور التأريخ الإسلامي، وبالأخص في أول عصر التاريخ، ليضع تفسير يراه أنه منتهي المنطقية وهو حول دعم وضوح معالم التفكك في العصر الوسيط،

ليعرض أمر آخر هو من أين استمدت مشروعية الخلافة وأساسها قائلا: " وقد تم البحث في وقت مبكر جدا عن قواعد كتابية للخلافة، فعثر عليها في القرآن ووجدت لها أسس في الحديث أيضا، ويرى أن نظرية السيادة في الفقه الإسلامي بدأت مع خلافة الراشدين التي أحيطت بالتقديس والتي اندمجت مع العقيدة .[1]

وبعدها يأتي سلطة الخليفة يستمد سلطته من الله وهو خليفة في الأرض فمبايعة الخليفة تعتبر ضرورية لصحة الفرائض الدينية، فخطبة الجمعة تلقى باسمه وهو القاضي الأعلى والقائد السياسي وإمام الصلاة .

وسلطة الخليفة ليست مجرد ملكية أرض تزول بزوال الملكية موضحا ذلك إلى وقت قريب تجاهل القانون العمومي الإسلامي للتشريع الترابي، أي أن الخليفة هو أمير المؤمنين حيثما وجدو.

وفي النهاية الأمر يتوصل الطالبي لفكرة مفادها أن الأمة الإسلامية ككيان روحي لا غير فوق القوميات، ويقع على الصعيد الماورائي ليس إلا لمصير مشترك في الآخرة [2]

ج- دور الفرد في صناعة التاريخ

إبراهيم ابن الأغلب:

لقد عمد الأستاذ محمد الطالبي في معالجته للتاريخ السياسي للدولة الأغلبية ما يسمى الفردانية أو الفرد في صناعة الحدث التاريخي .

لعب هذا الدور السمة الغالبة في كتابة محمد الطالبي فمثلا حين عالج قيام أول إمارة مستقلة بالمغرب ربطها بشخصية ابراهيم ابن الأغلب، حيث لم يتناولها بشكل معمق بل عالجها من زاوية العلاقة بين الفرد والجماعة .

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 78 – 79.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص 80.

وحسب ما ذهب اليه الطالبي فإن جهود ابراهيم ابن الأغلب سمحت له بالارتقاء والحصول على الشريعة، لتقوم أول إمارة مستقلة في إفريقية تحمل اسم الأغالبة أي انه درسها من زاوية الشرعنة والتأسيس الإمارة .

كانت الانتفاضات تجتاح مصر آنذاك بشدة في نهاية القرن الثامن، وقد أكد لنا نقلا عن البلاذري أن ابراهيم ابن الأغلب من " وجوه جند مصر " وهو على حد تعبير الطالبي أمر لم يفاجئنا قط، ولهذا الأغالبة في كون ابراهيم الذي كان من جهة قد ساهم عن كثب في الانتفاضات التي هزت البلاد، والواقع أنه تواطأ كثيرا في هذه الفتن، وأجبر على مغادرة مصر، بعدها يستدل الطالبي بالمصادر التي تختلف في رواياتها عن دخول ابراهيم ابن الأغلب للزاب، فتوصل إلى أنه قد دخل إلى الزاب بصفته منفيا، قبل عشر سنوات من ارتقائه إلى إمارة القيروان، ويصرح الطالبي، أنه لا يوجد أي مصدر يمدنا بأي خبر عن المحن والاستعدادات التهيئية للحكم، لكن حاول الطالبي وضع استنتاجات من خلال استقراءه للمصادر أهمها أن حياة ابراهيم في البداية بلا أحداث، فقد اتعظ بنزعاته في مصر، فحمل على التفكير وأدرك أن أحسن طريق وأكثرها افتخارا هي تلك التي تتحول من الشرعية لبلوغ ما يطمح إليه فيمكن التفكير أن هذه الفترة من النضج والتأمل كانت ذات أهمية في مستقبل ابراهيم، ويخصص وقته، لمحو بعض الذكريات بفضل سلوك مثالي، ولتهدئة عدة شكوك لتجنيب الدسائس، وعقد الصداقات، وتقوية وضعه حتى يفرض نفسه في الوقت المناسب، ويكون بمثابة السيد بين الجند، وإبراز شخصية لديهم[1] .

والفيصل بشأن وضع الولاية التي أهملها العلاء ابن سعد إذ كان منشغلا في المؤامرة الكبرى التي بدأت بقتل فضل ابن رواح، وفي سنة 178 هـ – 794 هـ تمتع بتسجيل عظيم في الزاب، ويؤكد الطالبي أنه ومن الحكمة ابراهيم أنه تجنب يتدخل في

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ص 108-117-118.

الانتفاضة التي وجدت بسبب ثورة عبودية، فهو لم يخرج لنجده الوالي المهلبي، ولم ينظم إلى معسكر أعدائه، فانتظر وتملص إلى أن هدأت العاصفة، ويرى الأستاذ الطالبي أنه منحت له هذه الفرصة ليقطف ثمرة سلوكه الحذر والحكيم، ويؤكد الطالبي ومن خلال دراسته للمصادر أنها كلها تجمع على المكانة الممتازة التي كان يتمتع بها ابراهيم آنذاك، والسلطة الفعلية التي كان يمارسها محاولا رفع بعض العقبات من طريقته، بالإضافة إلى محاولته لتبرير سلوكه اتجاه الاضطرابات التي وجدت بمصر وقدم شواهد الولاء لبني العباس، مدعما محاولته هذه بهدايا ضرورية لائقة، وقد عين بعدها عاملا على الزاب، ويرى الطالبي أن هذه المرحلة من حياته لم تكتسي صبغة رسمية، إلى أنها منحت له بتقديم شواهد الولاء لبني العباس ن والصعود درجة أخرى، ليجد فيه بعدها الرشيد بالخصوص أداة طيعة لتنفيذ سياسته في القضاء على العلويين الذين كانوا يشكلون خطرا على الخلافة وسلامتها، فولى الزاب من قبل هارون الرشيد [1]

وحسب ما ذهب إليه الطالبي فإن شخصية ابراهيم بن الأغلب من الحصول على شعبية وهذا بفضل سيرته الحميدة ونزاهته، ونقلا عن البلاذري يقول أن الرشيد عرض علي ابراهيم تولي القيروان، وذلك عندما علم بحدوث قلائل بإفريقية، غير أن الروايات الأخرى تختلف مع طرح البلاذري ترى أن شعبية ابراهيم هي من سمحت له بالوصول إلى ولاية القيروان، منها رواية ابن الأثير ابن خلدون، والنويري يرى الطالبي أنها كلها تقر بالشعور العام والمطالبة بتوليته، فهذه الشهادات على حد تعبير الطالبي لا تتم عن دسائس، بل تعود إلى شخصية ابراهيم ابن الأغلب الحكيمة، فأذعن ابراهيم وطالب بولاية القيروان، وبعدها قام فشرط شروط واقترح مساومته، يرى الطالبي انه لم يرد قط أن يكون مجرد والي على إفريقية، يخضع لتقلبات السياسة الشرقية والاضطرابات الداخلية، ويجب ان يرتقي أيضا إلى الإمارة بصفة نهاية وراثية فرضة الرشيد بالمساومة، ودع ابراهيم

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 119-120.

ووجه له العهد [1]، ويرى الطالبي ان الارتقاء ابراهيم الأول إلى الإمارة قد تم في نقطة التقت فيها قوى متعددة، عبرت المشرق والمغرب أيضا ولم يمكن فصل الصيغة الجديدة المنفذة بإفريقية عن مشاغل الخلافة السياسية، وقد تميزت بترضية الحزبين، فهي تمد صاحب الإمارة بدواع قوية للقيام بمهمته بصورة جديدة، ولو لدفاع عن ارث لم يعد يخشى فقدانه في مكانه ان يحيله منذئذ إلى ورثائه فهذه الصيغة تضمن له مزيدا من التبجيل وحرية متسعة للتحرك، لكنها تربطه أيضا بالخلافة بصورة عميقة فهي التي كانت تمنحه الشرعية، وتأييدا أدبيا متناهيا – وأحيانا تأييدا ماديا– مكنه من مواجهة المنافسين في الظروف الصعبة والانتصار عليهم، وهذا على غرار حنكته السياسية في استمالة المعارضة، فقد اعتنى بالجيش، فمنحه أعظمية وكرر علامات التقدير والاحترام إلى الضباط .[2]

وقد استند محمد الطالبي على الماوردي في تحديد نوعية الإمارة التي تحصل عليها ابراهيم بن الأغلب، فهو يميز بين نوعين من الإمارات، إمارة استكفاء وإمارة استيلاء نقلا عنه، فقد حدد المبدأ كما يلي: " أن يستولي الأمير بالقوة من بلاد يقلده الخليفة إمارتها، ويفوض اليه تدبير سياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه منفذا أحكام الدين ليخرج من الفساد إلى الصحة ومن الخطر إلى الإباحة "

يرى الطالبي أن الماوردي كأنه يفكر في ابراهيم بن الأغلب الأول، ومن المعلوم أن اختيار ومؤسسي الإمارة الأغلبية فرضته الظروف القاهرة، والخصال (استكفاء) المترشح الذي عرف كيف يقدم نفسه، في نظر الطالبي لا بصفته ثائرا، بل كمدافع ناجح عن القضية العباسية التي كانت محل تهديد، ولهذا فإن الطالبي يؤكد على أن إمارة

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص 126–128 .

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص 133–153.

ابراهيم بن الأغلب استكفاء واستيلاء في نفس الوقت، وتحصل على اعتراف الخلافة بسلطة، وعلى استقلال حقيقي، ناجز ضمن دار الإسلام بفضل الوراثة المعترف بها .

د- الخلافة من منظور الطالبي:

لقد عمد الطالبي على إثارة نقطة مهمة هي الوحدة وما تنطوي عليه من مرتكزات التي يراها متجذرة في العمق، أهمها الخلافة في الإسلام وقد حاول في هذا الصدد التركيز على خلافة بني عباس، ليطرح سؤال جوهري وهو ما عهدناه في الطالبي فهو يثير الاستشكالات لكي يقضي بك في النهاية غلى الإجابة يمدها من أصولها، وهو كالتالي: " لماذا طال احتضار الخلافة قرونا؟ لماذا دامت هذه المؤسسة عبر الأنواء مع أن المنطق واجبان تتوقف حياتها المضطربة سنة (334-945) وعلى غرار هذا فهو أيضا يحيل القارئ في الهامش إلى جل محاولات الفقهاء لإنقاذ الخلافة ليدعم فكرته وتكون على سند قوي ينظر أهمها تأليف الماوردي (الأحكام السلطانية) محاولة من هذا القبيل، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المؤلفات الغزالي (1058-1111) كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وكتاب المستظهرين، ابن جماعة (1241-1333) (تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام أو ابن تيمية (1263-1328) (السياسة الشرعية) [1]

بعدها نجده يجيب على التساؤل الذي طرحه في البداية يقول: " الجواب الذي يجب علينا تفصيله هو أن الخلافة رمز حي لوحدة دار الإسلام المقدسة، تلك الوحدة التي لم يقدم الأغالبة والأمراء الآخرون على التخلي عنها أبدا ".

حاول الطالبي بعد ذلك إلى نقل صورة هذه الوحدة إلى الحاضر، مستهل بقول: " لوحظ مرارا أن الحاضر غالبا ما يكون دليلا لا مثيل له لفهم الماضي ".

وهو بذلك يستعرض أن المسلمين المتعلقين جدا بدينهم، وتقبلوا القضاء على الخلافة بذكر وبمثابة مصيبة حقيقية، على الرغم من كل التطورات التي طرأت على العالم، وهذا

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص63.

ما في مؤلفاتهم قائلا: فقد عبر الهندي مولوي محمد بركة الله في كتابه المخصص لهذا الحدث عن قلق صادر مسلم مثقف مقتنع بالفراغ الروحي الذي تركته زوال الخلافة، يضيف شخصية آخري هو رشيد رضا قائلا: أن لم يتوقف نشاطه للدفاع عن الإصلاح[1] الحذر والطالبة به، لينقلنا إلى صورة معاكسة التي كانت تخالف رشيد رضا ومولوي محمد بركة الله، وهي على عبد الرزاق، إذ أنه أسس نظرية الفصل بين الدين والدنيا، فبقي معزولا ولم يكن له صدى، وهذا أمر له دلالته، وإن كان هذا الشعور بالزوال قاسي، على حد تعبير الطالبي فذلك لان المسلمين في قرارات أنفسهم لم يرضوا أبدا الأمر زاد عما كان عليه في العصر الوسيط، فهو اكثر وحتى اليوم مازال ينحى باللائمة على الفتنة الكبرى، التي اهتز لها الإسلام، التي يرى الطالبي نالت اهتمام منهم طه حسين فهو يطلق عليه القائم بين روح الجاهلية وروح القرآن .

بعدها يختم الطالبي مؤيدا سابقيه في الطرح وأن موضوع " الفتنة الكبرى " يحتل في القرن العشرين بالذات محور نقاش، ولازال الجرح الذي ظهر اكثر من ثلاثة عشر قرنا داميا، والحنين إلى الالتحام لم يكل أبدا، إن هذه الأحداث القليلة تعطينا فكرة عن تعلق المسلمين بالوحدة .[2]

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص64.

[2] محمد الطالبي: نفسه: ص 64-65.

الفصل الرابع:

مجرى التاريخ الاجتماعي

عند محمد الطالبي

أ- الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين

ب- الحسبة

لدى استعراض جمل كتابات الطالبي في التاريخ الاجتماعي، تبين لي أنها مرتكزات تقوم عليها حركة التاريخ لكن على الأمد الطويل، لكون الأهرام لا تشيد لا محالة من قممها، وعند رفع كل بنيان، ينبغي الاهتمام جديا بالأسس، نعني القاعدة[1] (المجتمع) .

أ- الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين:

لقد عمد الطالبي في استعراض الهجرة المبكرة للأندلسيين وتتبعها ومعرفة تأثيرها، حيث أثرت تأثيرا بليغا في المجتمع الإفريقي، والذي بقي إلى يومنا هذا في الفن المعماري، والفلاحة، والصناعات، وحتى في بعض العادات والتقاليد، زيادة على الأسماء بعض العائلات ونظرا لأهميتها في تاريخ إفريقية يرى الطالبي أن هذه الهجرة في حاجة إلى دراسة مستقلة وعميقة لا تستوعب كل النصوص والمصادر وتبرز بوضوح دور الذي لعبته الجالية الأندلسية في إفريقية .

غير أن الهجرة التي انفرد بها الطالبي على حد قوله هي الهجرة الأولى أيام الحفصيين التي يرى أنها أحدثت تغييرا في وجه البلاد في كل الميادين .

لقد أتى الطالبي على ذكر ما حل بالأندلس، لكن الضربة الحاسمة والتي أصابتهم في الصميم هي السقوط طليطلة في منتصف محرم سنة 478هـ/منتصف ماي 1085، ولم تكن واقعة زلاقة في نظر الطالبي التي أتت لنجدة الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين 22 رجب 479هـ/ 2 نوفمبر 1086 التي هبت من المغرب والتي انتصر فيها، سوى صرخة في وادي[2]، فنجد الطالبي يستشهد بآية قرآنية لحال الأندلس، قال تعالى: " إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ " [3]

[1] محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص9.

[2] محمد الطالبي: الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة (الجزائر)، ع1975/26 ص 48

[3] سورة الرعد، الآية 13.

ويصرح الطالبي أنهم قد نقلو أمراضهم الاجتماعية لمن هبوا لنجدتهم، كما نجد الطالبي يستشهد بأبيات شعرية التي يراه تصور أحسن تصوير للعقلية الانهزامية، لشاعر عبد الله ابن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال حيث يقول:

يا أهل أندلس حثوا مطيكم **** فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى **** ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

ونحن بين عدو لا يفارقنا **** كيف الحياة مع الحياة في سفط

ويؤكد الطالبي أنها تصور العقلية الانهزامية التي كانت السبب العميق والحقيقي الذي تولدت عنه الأحداث، كذلك تتجلى للطالبي هو إدراكه لكل أبعاد الهجرة الأندلسية الاجتماعية والنفسية، وهو أن مسلمي الأندلس – وهم في أغلبيتهم الساحقة من أبناء البلاد الأصليين – كانوا يشعرون أنهم وغرابة، وكأن انتسابهم للغة العربية اجتث العروق التي تربطهم بترتبهم ووُلِد فيهم شعور الدُخلاء[1]، وهذا دليل على محاولة الطالبي في فهم الخفايا في هذه الأبيات التي لم يصرح بها، مما يدل على استحضار الطالبي للمظاهر الأدبية للولوج إلى ذهنية مسلمي الأندلس، فهما حاولا دراسة تاريخ النفس الإنسانية والحضارة القومية في مظاهرها الأدبية، وفي تلك المظاهر قبل كل شيء، ونحن إنما نحاول دائما أن نصل إلى حركة الأفكار والحياة خلال الأسلوب[2]. وفي ظل الصراع فقد كان حافز النصارى استرجاع الوطن المغضوب، بينما المسلمون كان يحدهم حنين اللجوء إلا وطن الإسلام، فيرى الطالبي قد تظافرت هذه العقلية على فتح باب الهزائم والهجرة، ويبدو تحليل الطالبي منطقي إلى حد ما، كما قد تم ذكر تلك العقلية الانهزامية التي ساعدتها دعائم رسختها في نفوس مسلمي الأندلس، غير أن هذا الوقت لم يبدأ سيل الهجرة في التدفق بعد، كما أظهره النصارى من تسامح مع المسلمين، ولكن هذا التسامح لم يعمل طويلا فسرعان ما أخذ النصارى يقرضون سياسة التمسيح، ويحولون المساجد

[1] محمد الطالبي: الهجرة الأندلسية أيام الحفصيين، ص49.

[2] لانسون ومابيه: منهج البحث في الأدب واللغة، تر: محمد مندور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص21.

إلى كنائس، عندها وبلا شك يؤكد الطالبي بدا النزوح بصفة ملحوظة، غير ان هذا النزوح كان داخلي لم يعبر البحر لقد وجد النازحون، فيما بقي من ارض الأندلس بيد المسلمين ملجأ يمكنهم في آن واحد من الفرار بينهم .

ليأتي بعدها الموحدون ليعود شيئا من الاطمئنان غلى النفوس، غير أنه لم يدوم طويلا فلقد ذهبت كارثة العقاب (1212/609) بنشوء الأراك 1195/591، وأعاد ابراهيم الدباغ الإشبيلي صرخة ابن العسال:

وقائله: أراك تطيل فكرا *** كأنك قد وقفت لدى الحساب

فقلت لها: افكر في عقابا *** غدا سبب لمعركة العقاب

فما في ارض أندلس مقام *** وقد دخل البلا[1] من كل باب

وهذا سعيا من الطالبي للتوظيف هذه الشواهد الأدبية التي تعبر عن صورة تلك العقلية الانهزامية، والتي يراه الطالبي سببا في فقدان الأندلس لصالح النصارى لقد عبرت هاته الأبيات إلى الدعوة إلى المغادرة السفينة قبل الغرق، فهو لم يدعهم إلى التكتل أمام الخطر .

وعليه فإن محمد الطالبي يرى أنه يجب البحث عن العوامل العميقة التي آلت إلى خروج الأندلس من يد أبنائها من المسلمين، وخروجهم منها، أولا فرار واختيار أخمر قهرا واضطرار، ويؤكد أن تلك السلسة المتواصلة من الانهزامات المتتالية فما هي بالنسبة لهذه العوامل العميقة، إلا تلك الأمواج المتزايدة التي تعلو سطح البحار وتجلب الانتباه بحلبتها، في حين أنها ليست عروض سطحية أسبابه تكمن في تيارات الخفية [2]، والتي قد سبق الطالبي ان أعطى منظوره للتاريخ، التي تخترق أعماق المياه (أي أعماق النفوس) فقال: "إن الحوادث مهما كانت جسيمة، فهي لا تزيد على أن تكون شبيهة بتلك التجاعيد التي تكسو سطح البحار فهي وليدة ما يجري في الأعماق، وتلك الأعماق بالنسبة للطالبي هي

[1] محمد الطالبي: الهجرة الأندلسية، ص49.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص49.

بواطن الروح الإنسان العادي وظروف حياة الشعوب الكادحة، وما يطرا على المحيط التي يجوبها من تغيير وتفاعل يهتز بعنف من حين إلى حين سطح التاريخ "[1]

فالهجرة، مغادرة سفينة الأندلسية وشانها، قد هيأت عقلية انهزامية انتهازية استولت على النفوس منذ قرون، فكان أمراء الأندلس وكبارها يحتسون الكاس حتى الثمالة، وأول من غادر الأندلس هم سراتها ونخبتها .

ويرى الطالبي أن الأسباب التي تعود لاختبار إفريقية خاصة هي الأسرة الحفصية مؤسسها أبو محمد عبد الواحد (604-618/1207-1221) أحد أبطال انتصار الأراك قد استقرت بالأندلس قبل انتقالها إلى إفريقية، ولذلك فالحفصيون يميلون لأهل الأندلس، ويقدرون مواهبهم في خدمة دولتهم وسياستهم، وخاصة في الجانب الديموغرافي، لنتكون إفريقية قطب جذب بشري لذلك، فالوافدون وجدو مجالا واسعا لاستثمار مواهبهم في القطاع التجاري والصناعة على الخصوص، وزيادة على الحقل الثقافي والإدارة والبلاط فكانت ملاذهم جالية شرق الأندلس .

يرى الطالبي بدأت بعد الخروج مدن الأندلس الكبرى من يد المسلمين، وردود الأفعال العنيفة المتخذة ضدهم وهي قرارات الطرد ضدهم، ويخص بالذكر مسلمو شرقي الأندلس قد لجؤا إلى غرناطة والمغرب وإفريقية خاصة، حيث كانوا جالية هامة متميزة عن غيرها، كل هذه العوامل أدت إلى الهجرة بلا شك ويلاحظ الطالبي قد كانت هامة وكثيفة، ليعود في حديثه عن صمت المصادر وحول هاته الظاهرة قائلا: " غير أن المصادر كعادتها لا تعني إلا بحوادث والوقائع ودسائس البلاد، وتهمل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والحضارية عامة، فهي لم تزح لنا الستار عن هجرة شرقي الأندلس إلى عرضا، وبصفة مجملة غير مفصلة، وذلك عندما تقص علينا نكبات أعيانها من ارتقى قمة المراتب البلاطية .[2]

[1] محمد الطالبي: الهجرة الأندلسية، ص50.

[2] محمد طالبي: نفسه، ص50-51.

بعدها تجد الطالبي تبع مصطلح الجالية ابن خلدون، مما يدل ويؤكد ان القدوم لم يكن فرديا بل كان جماعيا، ويوضح الطالبي ان الهجرة من شرقي الأندلس كان بعد ضياع بالنسبة، وكانت الهجرة جماعية تواصلت وتجددت بتجدد النكبات ومما سبق تحدث الطالبي حول هجرة شرقي الأندلس، يضيف إليها جالية غرب الأندلس التي أقام أفرادها بالمملكة الحفصية بعد ضياع إشبيلية (646هـ/1249م) ونقلا عن ابن خلدون أن هذه الجالية كانت مقربة أكثر من الأولى من طرف أبي زكرياء، مؤسس الدولة الحفصية، وعليه يرى الطالبي أنه كان هناك " جلاء" في الأندلس شمل أقواما بأجمعهم بعد كل نكبة، بل كانت جموع غفيرة قد غادرتها، قد وجهدت مستقر البلاد في بعض الأحيان بصفة حاسمة في عدة ميادين .[1]

بعد تتبع الطالبي لمعرفة أبعاد هذه الهجرة وكيف كانت وما هي أسبابها يأتي على ذكر أهم التأثيرات التي أحدثتها هاته الهجرة " الجالية الأندلسية "

في إفريقية، فمن ناحية البلاط والإدارة والجيش، فقد كان من بين أهل الأندلس عدد وافر من المثقفين والكتاب البارعين، فأراد أبو زكرياء الأول أن يغتنم فرصة قدومهم، ويدعم أركان دولته بصدد إنشائها، فاستكثر منهم في بلاطه وإدارته وجيشه، فيرى أن هذا الجانب لن نفصل فيه كثير على قدر ما يهمنا التأثير الأندلسي في المجتمع الإفريقي وكان تأثير الجالية هاما أيضا في الميدان الثقافي، بل يؤكد الطالبي على أنه على مستوى أهم وأشمل مما كان عليه على الصعيد السياسي، فإن المثقفين الأندلسيين قد غيروا وجه البلاد، وكذلك لحاجة الأندلسيين الاسترزاق وذلك عن طريق التعليم، خاصة التعليم الابتدائي، الذي سيستهدف الصبيان في الكتاتيب، ويؤكد أنه لاشك في التفوق الثقافي والمعرفة الذي كان في صفوفهم، فكان الإقبال عليهم عظيما، وعليه فقد أحدثوا تطور في هذا المجال وعليه فان الطالبي يرى أنهم قد غيروا البيداغوجية الإفريقية، وأن التأثير

[1] محمد الطالبي: الهجرة الأندلسية، ص، 53.

الأندلسي في ميدان التعليم كان إيجابيا، فهو أفضى إلى تجديد بيداغوجي مفيد وإلى التقدم.

وعلى قدر ما كان التأثير في الجانب الثقافي إيجابيا إلى انه في الجانب الاجتماعي لم يحدث الامتزاج الفعلي، ويوضح الطالبي أن الجالية الأندلسية لم تكن ميالة الانصهار في الوسط الإفريقي، وذلك لسبب يراه الطالبي وجيه، هو أنهم يشعرون باللحمة التي تربطهم، لحمة الأقليات المنبتة والمنتقلة إلى أرض غير أرضها، ويضيف الطالبي سبب آخر أعاق الاختلاط والامتزاج والانصهار هي تلك الفوارق الحضارية التي كانت حاجزا يزيد ويقل عمقا واتساعا باختلاف الطبقات .

ليخلص الطالبي في الأخير أن الهجرة الأندلسية الأولى لم تستأثر باهتمام الباحثين على قدر ما كانت الثانية، وعلى غرار ما كان عمق وتأثير الأولى في مختلف الميادين وغيرت من وجه البلاد غير أن الامتزاج والانصهار الاجتماعي بين الجالية الأندلسية والمجتمع الإفريقي لم يجد طريقة معبر عنها الطالبي بصورة أدبية قائلا: " نزول أفواج حاملي حضارة الأندلس أسلوب الحياة القفز، وحضارة ألحان المألوف- أسلوبان بينهما برزخ لا يلتقيان، فلم يكن التلاقح، وإنما كان الإجهاض"[1]

ب- الحسبة:

ومن بين القضايا الاجتماعية التي عالجها الطالبي نجد الحسبة، وذلك من خلال المصادر والأصول والوظائف فقد رأى الطالبي ان الازدواجية التي يتضمنها مفهوم الحسبة هي السبب في تنوع المصادر التي تتحدث عنها، غير أن الطالبي حاول أن يقتصر على المؤلفات التي اتخذت من الحسبة – في أي واحد من معنيها- موضوعا والتزمت به ووقفت على حدوده، فقد حاول تضييق هذه المضافات بصورة تقريبية جدا، بين صنفين ليست بينهما حدود فاصلة فبعض هذه الكتب تدرس بوجه عام فضيلة

[1] محمد الطالبي: الهجرة الأندلسية، ص، 64-78-83

الحسبة، والواجبات المترتبة عنها بالنسبة لمحتسب، وما تكتسيه من صبغة دينية وفقهية، وأخرى تكون الغاية منها أساسا إثارة المحتسب بخصوص التفاصيل والجزئيات الملموسة والفنية . ويؤكد الطالبي ان المؤلفات التي تتضمن نظرة عامة في الحسبة هي عديدة لكن الغريب في أمرها هو أننا لا نجد أي كتاب منها قبل القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي .[1]

ويؤكد الطالبي ان المصنفات الحقيقية في فن الحسبة بالمعنى الدقيق الذي نقصده فإنها سوف تظهر إلا ابتداء من أواخر القرن الخامس الهجري بالمغرب الإسلامي (ولاسيما الأندلس) وابتداء من القرن 6 هـ بالمشرق، لم يعثر على شيء منها فيما سبق ذلك زمانا.

ليواصل الطالبي تتبع دراسة ظروف النشأة الأولى لحظة الحسبة في المجال العملي، ويرى أنها سابقة فيما يبدو وظهور النظرية – ومحاطة بالغموض أيضا، ويقول: لا نجد في أول المار حديثا عن الحسبة أو المحتسب مما جعل الطالبي يرى انهما مسألتان، مسألة الظهور صاحب السرق، ومسألة تحوله لمحتسب، ويضيف أن الرأي السائد لدى الباحثين الذي لا يختلف فيه اثنين مرى الموضوع هو أن صاحب السرق قد حل محل حاكم السوق، الذي كان موجود بالمدن اليونانية وذلك بالنظر أن الوظائف الأول والثاني طابقه بوجه عام، ويرى الطالبي من جهة أنه من الممكن أن تكون التسمية العربية ترجمة للعبارة اليونانية وقد زال ذكر حاكم السوق في الكتابات والنقوش اليونانية قبل الفتح العربي بثلاث قرون، وقد تكون اللهجات الشعبية قد احتفظت في التخاطب.[2]

ويرى الطالبي أن عمل المحتسب نشاط اقتصادي أخلاقي وذلك لما له من علاقة بالتقاليد الاقتصادية الإسلامية أن المحتسب يراقب الأسعار، فهو يؤنب ويعاقب أحيانا البائع الذي تكون أسعاره غير متماشية للقيمة الجارية المتداولة في السوق، ويقسو على

[1] محمد الطالبي: الحسبة، دائرة المعارف التونسية ن بيت الحكمة1994/4، ص181.

[2] محمد الطالبي: نفسه، ص84-86.

المحتكرين للألوان لا سيما في زمن القحط والمجاعة، وفي هذا السياق يوجد وظيفة أخرى دفعت بالباحثين المعاصرين إلى الإلحاح في كتاباتهم على ما كان موجود أثناء العصور القديمة، هي النظر في شؤون المدينة والسهر على تموين أهلها وصيانة سكنها ومبانيها العامة، وذلك مما ورثه المحتسب عن القدامى، فهو مطالب بالاحتياط لئلا يكون في بناء المساكن وتعهدها بالصيانة، ولا في إقامة الدكاكين وتجهيزها أي عنصر أن يكون مضر بأمن مجموعة السكان وسلامتهم أو إذ يمس بقواعد استعمال مسالك المدينة وطرقاتها، وعليه أيضا أن يتخذ ما يلزم من التدابير والإجراءات لضمان تنيف الشوارع وترميم الأسوار عند الاقتضاء، وتأمين التزويد بالمياه والسهر على انتظام توزيعها وغير ذلك ... كل هذه الواجبات والفروق حملت بعض الناس أحيانا لاعتبار المحتسب موظف بلدي وهو إذن الوحيد من هذا النوع في الإسلام فهو مثل القاض تماما لا يتصف بهذه الصفة بحكم نوع الوظيفة الموكولة إليه، وفي نظر الطالبي أنه لا يستمد نفوذه من أي تنظيم مدني ومهني، لكن محتوى نشاطه يتمثل فعلا على وجه التخصيص والحصر في القيام بشؤون مدنية بلدية، لينتقل الطالبي أي شروط اختيار المحتسب، ينبغي للمحتسب أن يكون معروفا لدى جمهور الناس باستقامته الأخلاقية وتضلعه في معرفة الشريعة، فيتم انتقاؤه إذن في غالب الأحيان من بين الفقهاء، بالإضافة إلى تجربة وخبرة في مجال الحياة المهنية والحرفية.

وعليه نجد الطالبي يخلص في الأخير إلى أن الحسبة تعتبر خطة دينية كما هو الشأن بالنسبة إلى خطة القضاء، ليعرض الطالبي عقبتان في انتداب المحتسبين وأداء وظيفتهم أحدهما تتعلق بكفاءة المحتسب، والثانية بوسائل العمل التي يملكها.[1]

ويصرح الطالبي بلا شك أن المدن القديمة قد حافظت مؤسساتها ونظمها بعد الفتح العربي، ويؤكد الطالبي أن اسم صاحب السوق ظل غالبا في الاستعمال ببلاد المغرب

[1] محمد الطالبي: الحسبة، ص، 187-188.

والأندلس حيث بقي تبني مفهوم الحسبة بالمعنى الاصطلاحي مقصور بالخصوص على رجال الفقه والقضاء وما ميّز المحتسب التقليدي حينئذ هو اندراج خطته في مراقبة السوق ممن عمل أوسع حدودا يتصل أساسا بالجانب الديني وهو السعي إلى الحفاظ على سلامة السلوك الاجتماعي، الذي يبدو الطالبي غير واضح في هذه القضية هي الحدود الفاصلة بين الشؤون التي هي من شمولاته وبين ما يعود بالنظر إلى القاضي أو صاحب الشرطة ليس دائما في منتهى الوضوح، فالمحتسب يشتغل بأمور صريحة ومخالفات واضحة للعيان لا مجال فيه للشك أو النزاع، فهو يتدخل في القضية من تلقاء نفسه ودون انتظار قيام أحد بدعوة، ولم يطرأ عليها أي تغيير حتى في العصور الحديثة، لكن الاختلاف من وجهة نظر الطالبي في الأسلوب الذي يؤدي به المحتسب بعض واجباته، بصر النظر عن السوق ذاتها يرتبط كثيرا بالبيئة الاجتماعية السائدة ويتأثر بمزاجه الخاص، وقد صنف الطالبي مهام المحتسب في ثلاث أقسام: فهو مطالب أولا بالسهر على أداء الفرائض الدينية، ثانيا بمراعاة التقوى ومكارم الأخلاق في السلوك المتبادل بين الرجال والنساء بالشوارع، وهو مطالب أخير بالحرص على تطبيق اجراءات الميز بالنسبة إلى أهل الذمة.[1]

أما بالنسبة لجمهور الناس فمن الثابت أن مهمة المحتسب الأساسية والدائمة تتمثل في مراقبة السوق، وبوجه الخصوص أن يترصد ويقاوم أنواع الفساد والغش والتأكد من صحة الموازين وسلامة المكاييل التي يرى الطالبي أنه كتب شأنها مؤلفات مختصة وأشهرها كشف الأسرار للجوهري 7 هـ / 13 م، بالإضافة إلى أنه يقوم بالتأكد من سلامة عيار معدة النفود، كما يجب عليه التحقق من سلوك الباعة والوسطاء، لتمثل مهامه على غير مشمولات السوق، فإذا به يراقب الصيدلانيين، ويقتحم الكتاتيب على أن لا يتجاوز عمله حدود المدينة .

[1] محمد الطالبي: الحسبة، ص، 188

وعلى هذا ينظر الطالبي للأمر أنه من اللازم أن يتم التعاون بين كل من المحتسب والقاضي والشرطة وذلك من منطلق أنه في بعض الأحيان تم الجمع لشخص واحد إما بين خطتي القاضي والمحتسب أو بين وظيفتي الحسبة والشرطة وقد اعتبر بوجه عام عمل المحتسب بمثابة عون تابع للقاضي من ذوي الاختصاص، أما فيما يخص العقوبات التي تستطيع أن ينزلها المحتسب بالمخالفين دون الاستعانة بمراجع النظر الأخرى، فهي العادة التوبيخ والجلد والتطويق في المدينة، ويمكن حجز المقاييس والمكاييل الفاسدة وكذلك البضائع المواد المغشوشة، وفي حالات قصوى فإنه يمكن حرمان الأشخاص من تعاطي مهنتهم، أو الحكم عليهم بالنفي والتغريب.

وفي أواخر العصر الوسيط، ومع حلول التدهور الاقتصادي والأزمات الاجتماعية داخل وظيفة المحتسب كثير من التبديل والفساد، ويضرب مثال في الفساد وذلك في عهد المماليك كانت هذه الخطة كغيرها من الوظائف، تشترى بالمال من أصحاب النفوذ، وكثرت وشاعت الخصومات بين المترشحين لهذه الخطة فيذكر الطالبي مثال المشادة الشهيرة بين المقريزي والعيني.[1]

نخلص في الأخير أن الطالبي قد حاول تتبع الجذور والبداية لكل قضية اجتماعية حاول دراستها مع تقيده بملامسة الأصول، حتى أننا نجد قد استعان بالمظاهر الأدبية، لمعرفة الخفايا والظروف الاجتماعية.

[1] محد الطالبي: الحسبة، ص، 189-190.

الخاتمة

الخاتمة

من جميع ما سبق رصده تبين لي أن محمد الطالبي ينتمي إلى الرعيل الأول المؤسس للجامعة التونسية الحديثة بعد الاستقلال وهو أحد المساهمين في تثبيت دعائمها الأكاديمية، أحد أعمدة الفكر التونسي وهو من الذين ساهموا في تعريب التعليم وترسيخ القيم الإسلامية الأصيلة بعد الاستقلال. كما توصلت إلى أن:

تظافرت من العوامل والظروف والبيئة الاجتماعية في تكوين شخصية وذهنية المؤرخ لدى محمد الطالبي، كما أن هذه العوامل قد أثرت تأثيرا إيجابيا في منهجه في الكتابة التاريخية، فهو قد ثار على الكتابة التقليدية وفق نظرة تجديدية منهجية في معاينة الإنتاج التاريخي.

لقد تنوعت مصادر محمد الطالبي وتعدد في كتابة تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وقد سعى لصياغتها بما يخدم أسلوبه ومنهجه الخاص، بعد ان استقاه من منابعها، فهو حاول ان يعالج القضايا من زوايا قد أغفلت في المصادر أو ذكرت عرضا، محاولا إبداء رأيه وإثارة الإستشكالات ضف إلى ذلك نجد أنه قام بالتثبت من صحة النصوص بعد مقابلتها ومقارنتها ببعضها، لينتقدها بما يخدم الحقيقة التاريخية دون تزييف، فنجد هذه القاعدة حاضرة وميزة من مميزات محمد الطالبي في البحث التاريخي.

ومن خلال قراءتي لبعض مؤلفاته ومقالاته لمست عنده قوة في طرح مضامين المواضيع وإشكالاتها، فهو يثير التساؤلات ليفتح ذهن قارئه ولتعيينه للإجابة التي ينيره بها بعد حين، وذلك بأسلوب بسيط مفهوم بعيد عن المبالغة، وهذا راجعي إلى الصرامة المنهجية وسعة الاضطلاع وتحكمه في آليات ومستويات استقراء النص التاريخي.

إن دراسته للتاريخ السياسي للدولة الأغلبية تعتبر فريدة من نوعها، ولكون دراسته تصب في الجانب السياسي كان اعتمادنا عليه بشكل كبير، فهي دراسة لا يستغنى أي باحث في الحقل المغاربي والأغلبي خصوصا الاستغناء عنها، فهي دراسة تتبع فيها

الطالبي معالم البداية لأول إمارة في المغرب الإسلامي، ومن خلال تناوله لقضايا تؤرخ للفكر السياسي الإسلامي في العصر الوسيط، وكذلك الدور الذي يلعبه الفرد في صناعة التاريخ.

إن الفكر التاريخي عند محمد الطالبي كان ملتقى الرافدين العربي والغربي فنراها في منطلقاته وقناعته العربية والإسلامية قريب إلى النص التراثي.

أما في القالب الاجتماعي نجد الطالبي لا يتوانى في موقفه أن المجتمع بمختلف فئاته ومستوياته يحرك مجرى التاريخ وليست تلك الحوادث الكبرى المدوية او المعارك والحروب لقد كانت جهوده في الكتابة التاريخية التي تعتبر ذات نوعية في تحليل الظواهر التاريخية ببلاد الغرب الإسلامي سواء السياسية او الاجتماعية قامت على مرتكزات في معالم منهجية فكرية، سياسية تصب في تحديد معالم وأبعاد الفكر عند محمد الطالبي.

وقد أصبح طالبي في أواخر حياته شخصية مثيرة للجدل في تونس، وهذا من خلال القضايا التي طرحها منها مسالة تجديد الفكر الإسلامي معبر عنها بقوله: " يكفيك، كي تكون مؤمنا كامل الإيمان، بضمير هادئ مرتاح، أن تؤمن بكتاب الله، الذي هو بمفرده ملزم، وكتاب الله حرية وحداثة ومعاصرة وعقلانية على الدوام، وقول الله هو قول أتى بحقوق الإنسان، يكفيك أن تؤمن بكتاب الله، وأن تعمل بأوامره، وأن تنتهي بنواهيه، ولا حرج أن تكفر بالشريعة، لأنها من صنع البشر غير ملزمة "[1]

[1] محمد الطلبي: قضية حقيقة، (د ن)، (د ت)، ص7.

الوراقية

-القرآن الكريم

-قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر

- الحريري: مقامات الحريري، دار بيروت، بيروت، 1978.
- الرازي فخر الدين محمد: تفسير الفخر الرازي، ط 1، دار الفكر، لبنان، 1081، ج1.
- الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهني وعلي حسن فاعور، ط 3، دار المعرفة، بيروت، 1993.

ب-المراجع:

- الطالبي محمد والعبيدي إبراهيم: البرغواطيون في المغرب، ط1، تانسيفت، دار البيضاء، المغرب، 1999.
- الطالبي محمد: ابن خلدون {(732-808 هـ) (1332م - 1406م) }، دائرة المعارف التونسية، بيت الحكمة، قرطاج، الكراس 4، 1994
- الطالبي محمد: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي(184-296هـ)/800-909 م)، تعريب: المنجي الصيادي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- الطالبي محمد: الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة (184-296\800-909): تحقيق ثلاث مخطوطات من مكتبة القيروان الأثرية، ط1، سوتيميديا، تونس، 2017.
- الطالبي محمد: تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، الجامعة التونسية 1968.
- الطالبي محمد: عيال الله أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه بالآخرين، دار سراش 1992.

- بوبر كارل: بؤس الايدلوجيا، ترجمة: عبد الحميد ميرة، ط 1، دار الساقي للنشر، 1992.
- سيغموند فرويد : حياتي والتحليل النفسي، ت ر مصطفى زيور فعبد المنعم المليجي، دار المعارف، 1994.
- بدوي عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، ط 3، دار العلم للملايين، لبنان، 1993.
- رستم أسد: مصطلح التاريخ: ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1443 – 2002.
- صليبا جميل: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994، ج 2.
- طحطح خالد: الكتابة التاريخية، ج 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2012.
- العروي عبد الله: مفهوم التاريخ – الألفاظ والمذاهب –، ط 4، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، 2005، ج2.
- الكيالي عبد الوهاب: موسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات، ط4، ج3.
- لواتي دلال: عامة القيروان في عصر الأغالبة، دار رؤية، القاهرة، 2015.
- محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1985، ج4.
- مصطفى غالب: سارتر والوجودية، دار مكتبة الهلال، بيروت 1986 .
- الهادي التيمومي المدارس التاريخية الحديثة، ط1 دار التنوير للطباعة والنشر، دار محمد علي، بيروت، تونس، 2013.
- ومايبه لانسون: منهج البحث في الأدب واللغة، تر: محمد مندور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.

ج-المقالات:

- الطالبي محمد " الإمارة الأغلبية " ضمن نقد وعرض في مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج 1967/14-1968.
- الطالبي محمد: الإمارة الأغلبية " معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مج 1967/14-1968.
- الطالبي محمد: التاريخ ومشاكل اليوم والغد، مجلة عالم فكر، مطبعة حكومة الكويت، ع 1، 1974، ج 5.
- الطالبي محمد: الحسبة، دائرة المعارف التونسية، بين الحكمة، 1994/4.
- الطالبي محمد: الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين، مجلة الأصالة (الجزائر)، ع 1975/26.
- الطالبي محمد: الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة (الجزائر)، ع1975/26 .
- الطالبي محمد: منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، ع 3/، ديسمبر 1980.
- بونابي الطاهر: منهج أبي القاسم سعد الله في كتابه التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط في العصر الوسيط، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية لدراسات الإسلامية والإنسانية، قسنطينة، العدد 39، 2016.
- سريب نورالدين: ممارسات ثقافية وجمعنة سياسية: المثال التونسي، مجلة إنسانيات، ع 2، 1999.

الملاحق

الملحق رقم 01: محمد الطالبي

الملحق رقم 02: الدولة الأغلبية

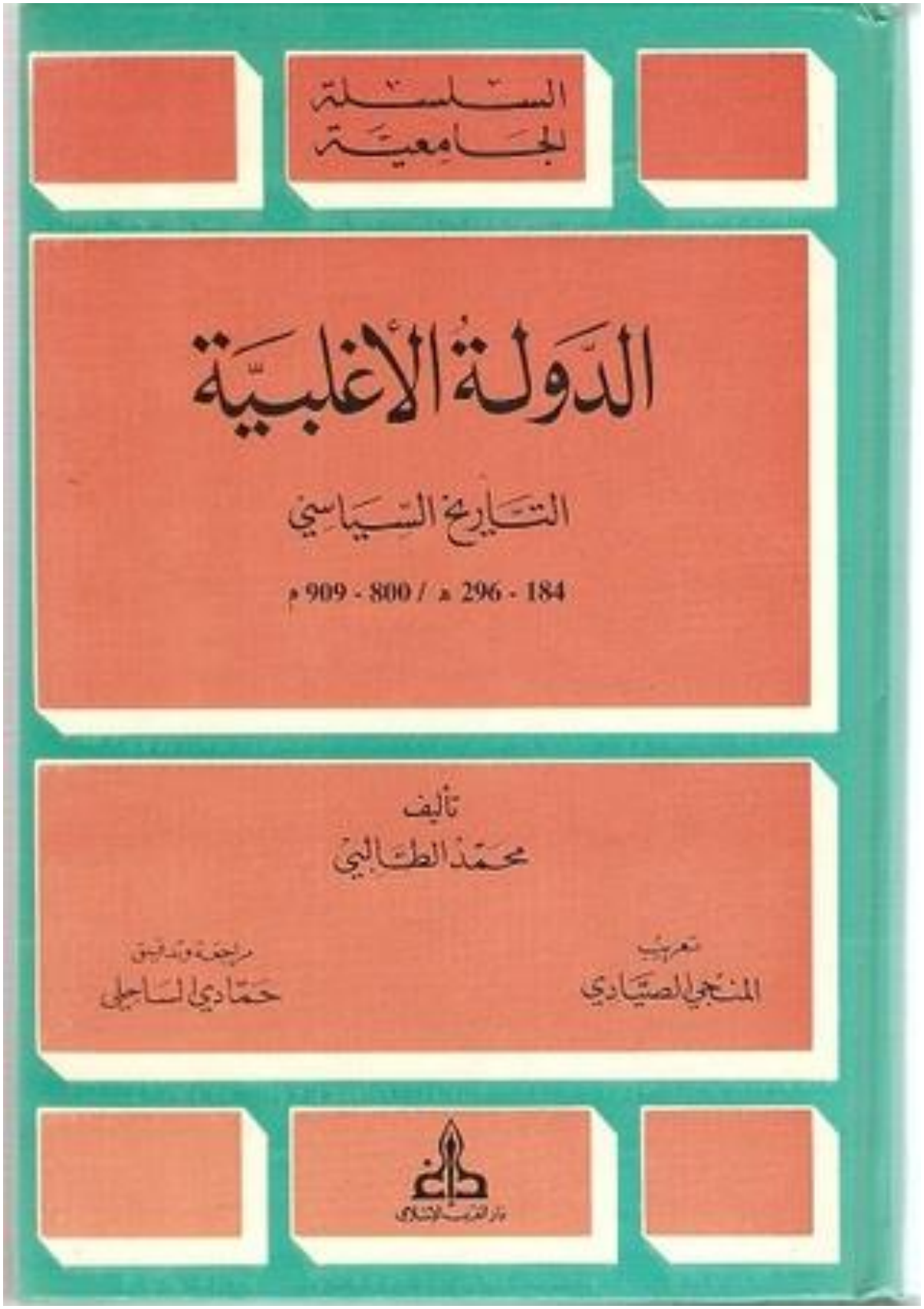

الملحق رقم 03: دائرة المعارف التونسية مجموعة مقالات

الملحق رقم 04: عيال الله

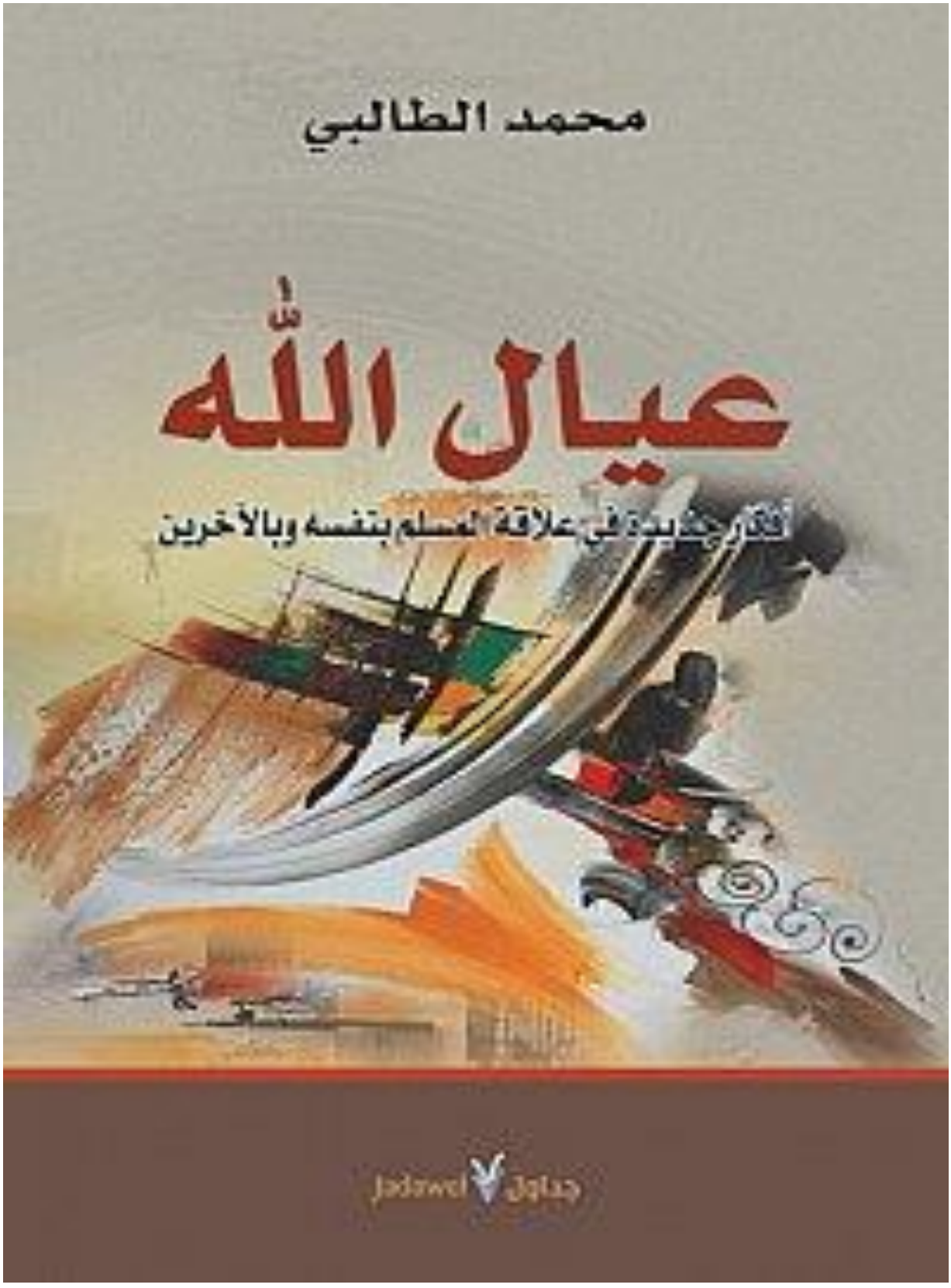

الملحق رقم 05: البرغواطيون في المغرب

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	
شكر	
مقدمة	أ
الفصل الأول: مسارات التكوين والتلقي (المنزع والخيار)	
أ-مسارات تكوينه الأولى (العائلة والبيئة)	7
ب-تجربة الدراسات العليا بفرنسا (جامعة السربون)	9
الفصل الثاني: منهج محمد الطالبي في الكتابة التاريخية	
1.منهج محمد الطالبي في الكتابة التاريخية:	14
أ-التحقيق والتوثيق	14
ب-النقد	17
ج-المقارنة	20
د-الموضوعية	22
2.منظوره لتاريخ ومنهج ابن خلدون في الكتابة التاريخية	25
أ-منظوره لتاريخ	25
ب-منظوره لمنهجية ابن خلدون في كتابة التاريخية	26
الفصل الثالث مجرى التاريخ السياسي عند محمد الطالبي	
أ-كتاب التاريخ السياسي للدولة الأغلبية	31
ب- تاريخ الأفكار السياسية عند محمد الطالبي	34
ج-دور الفرد في صناعة التاريخ	37
د-الخلافة (منظوره للخلافة)	41
الفصل الرابع: مجرى التاريخ الاجتماعي عند محمد الطالبي	
أ-الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين	44
ب-الحسبة	49
الخاتمة	55
الوراقية	58

ملاحق	62
الفهارس	68

تم بحمد الله